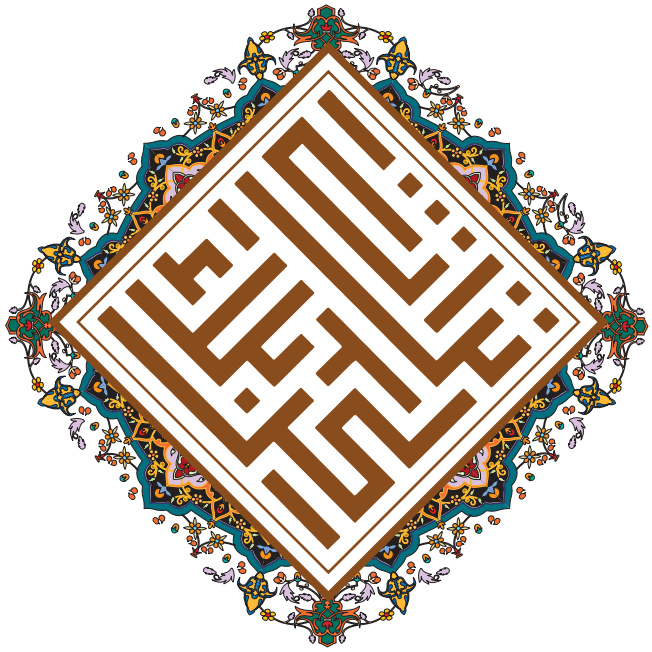

مَجَلَّةٌ فَصْلِيَّةٌ مُحَكَّمَةٌ
تُعْنى بِالتُراث الكَربَلائي
مُجَازَةٌ مِنْ وزَارَةِ التَّعْلِيْمِ الْعَالِي وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ
مُعْتَمَدَةٌ لِأَغْرَاضِ التَّرْقِيَةِ الْعِلْمِيَّةِ

تصدر عن:
العتبة العباسيّة المقدّسة
قسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة
مركز تراث كربلاء

السنة الثانية عشرة/ المجلَّد الثاني عشر/ العددان الأوّل والثاني (٤٣-٤٤)
ذو الحجّة ١٤٤٦هـ/ حزيران ٢٠٢٥م

كربلاء المقدَّسة - جمهوريَّة العراق

ردمد: ٢٣١٢-٥٤٨٩

ردمد الإلكتروني: ٢٤١٠-٣٢٩٢

الترقيم الدولي: ٣٢٩٧

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ١٩٩٢ لسنة ٢٠١٤

رقم الجوال: ٠٧٧٢٩٢٦١٣٢٧

Web: http://Karbalaheritage.alkafeel.net

E. mAil: turAth@AlkAfeel.net

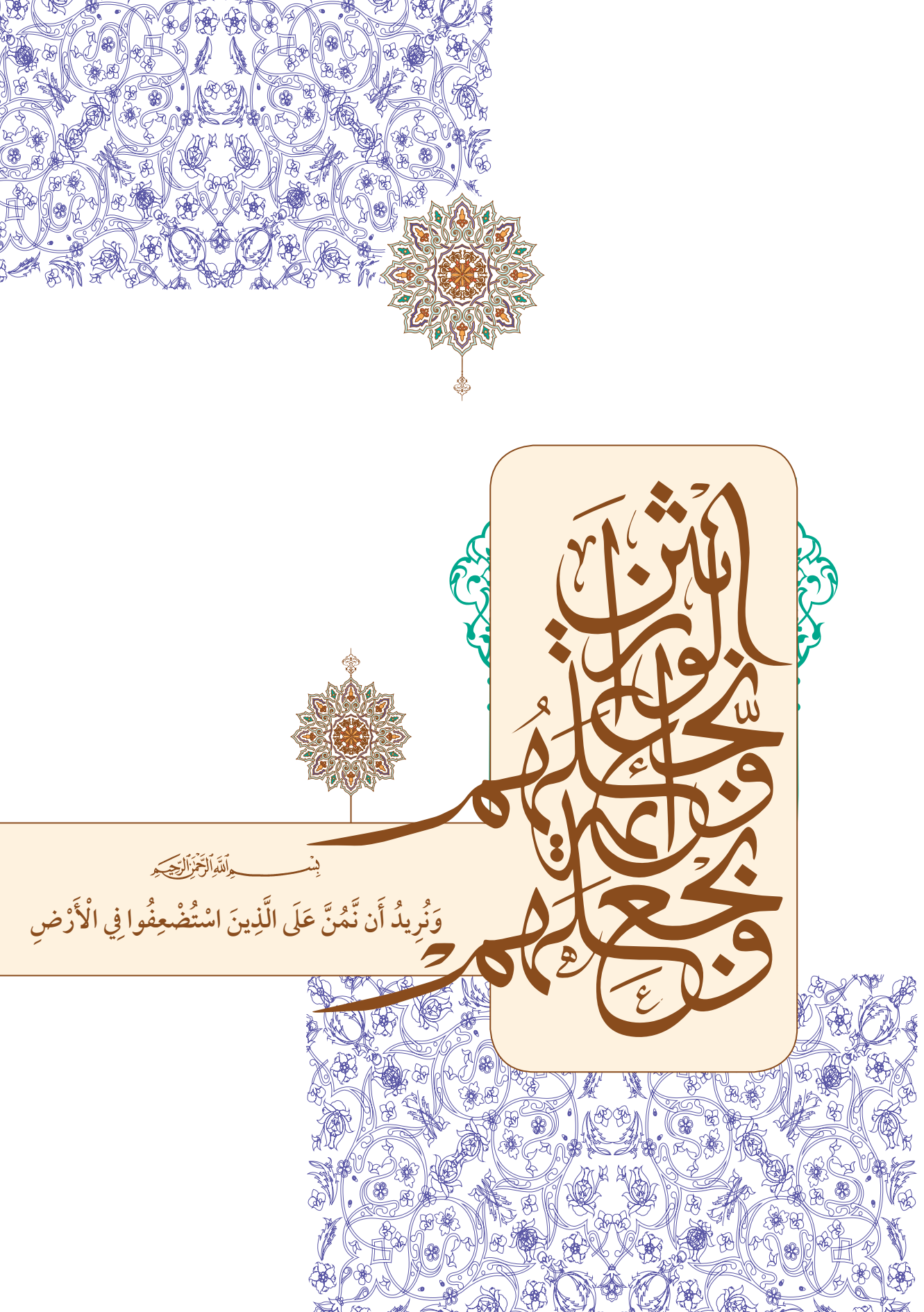
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ
ونجعلهم

المشرف العام

سماحة السيّد أحمد الصافي

المتولي الشرعي للعتبة العباسيّة المقدّسة

المشرف العلمي

الشيخ عمّار الهلالي

رئيس قسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة في العتبة العباسيّة المقدسّة

رئيس التحرير

د. إحسان علي سعيد الغريفي (مدير مركز تراث كربلاء)

مدير التحرير

أ. د. فلاح رسول الحسيني (كلية التربية للعلوم الإنسانيّة/ جامعة كربلاء)

سكرتير التحرير

م.د. علي عباس فاضل

مدقق اللغة العربية

أ.د. فلاح رسول الحسيني (كلية التربية للعلوم الإنسانيّة/ جامعة كربلاء)

م.د. حيدر فاضل العزاوي (وزارة التربية/ مديرية تربية كربلاء)

مدقق اللغة الانكليزية

م. م. إياء الدين حسام عباس (جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الإنسانيّة)

الإدارة المالية والموقع الإلكتروني

وليد جاسم سعود

الهيأة التحريرية

أ.د. مشتاق عباس معن (كلية التربية/ ابن رشد/ جامعة بغداد)

أ. د. علي خضير حجي (كلية التربية/ جامعة الكوفة)

أ.د. إياد عبد الحسين الخفاجي (كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء)

أ. د. علي كسار الغزالي (كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة)

أ.د. عادل محمَّد زيادة (كلية الآثار/ جامعة القاهرة)

أ.د. حسين حاتمي (كلية الحقوق/ جامعة اسطنبول)

أ.د. تقي عبد الرضا العبدواني (كلية الخليج/ سلطنة عمان)

أ.د. إسماعيل إبراهيم محمَّد الوزير (كلية الشريعة والقانون/ جامعة صنعاء)

أ.د. زين العابدين موسى جعفر (كلية الآداب/ جامعة بغداد)

أ.د. علي طاهر تركي الحلي (كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء)

أ.د. محمَّد حسين عبود (كلية العلوم الإسلامية/ جامعة كربلاء)

أ.د. حميد جاسم الغرابي (كلية العلوم الإسلامية/ جامعة كربلاء)

أ.د. ضرغام كريم كاظم الموسوي (كلية العلوم الإسلامية/ جامعة كربلاء)

أ.م.د. حيدر عبد الكريم حاجي البناء (جامعة القرآن والحديث/ قم المقدسة)

أ.م.د. محمَّد علي أكبر غفّوري نژاد (كلية الدراسات الشيعية/ جامعة الأديان والمذاهب/ إيران)

أ.م.د. فلاح عبد علي سركال (كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء)

م.د. اكسم احمد فياض(جامعة وارث الأنبياء/ كلية العلوم الإسلامية)

قواعد النشر في المجلة

تستقبل مجلة تراث كربلاء البحوث والدراسات الرصينة على وفق القواعد الآتية:

١- يشترط في البحوث أو الدراسات أن تكون على وفق منهجيَّة البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها عالميًا.

٢- يقدَّم البحث مطبوعًا على ورقA٤، وبنسخ ثلاث مع قرص مدمج (CD) بحدود (٥٠٠٠ - ١٠٠٠٠) كلمة بخط (simblified ArAbic) على أن ترقم الصفحات ترقيمًا متسلسلًا.

٣- تُقبل النصوص المحقَّقة لمخطوطات كربلاء، على أن تكون محقَّقة على وفق المناهج المتعارف عليها، وأن تتضمن مقدّمة تحقيق (دراسة) يذكر فيها الباحث المنهج المعتمد ومواصفات النسخة المعتمدة ومصدرها، ويرفق مع العمل المحقَّق صورة المخطوطة المعتمدة كاملةً، على أن لا يتعَّدى عدد الكلمات ١٨,٠٠٠ كلمة.

٤-تقديم ملخّص للبحث باللغة العربية، وآخر باللغة الإنكليزية، كلّ في حدود صفحة مستقلَّة على أن يحتوي ذلك عنوان البحث، ويكون الملخَّص بحدود (٣٥٠) كلمة.

٥- أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على عنوان واسم الباحث/ الباحثين، وجهة العمل، والعنوان الوظيفي، ورقم الهاتف، والبريد الإلكتروني مع مراعاة عدم ذكر اسم الباحث أو الباحثين في صلب البحث أو أيّ إشارة إلى ذلك.

٦- يشار إلى المراجع والمصادر جميعها بأرقام الهوامش التي تنشر في أواخر البحث، وتراعى الأصول العلميَّة المتعارفة في التوثيق والإشارة بأن

تتضمن: اسم الكتاب، اسم المؤلِّف، اسم الناشر، مكان النشر، رقم الطبعة، سنة النشر، رقم الصفحة، هذا عند ذكر المرجع أو المصدر أول مرة، ويذكر اسم الكتاب، ورقم الصفحة عند تكرّر استعماله.

٧- يزوَّد البحث بقائمة المصادر والمراجع منفصلة عن الهوامش، وفي حالة وجود مصادر ومراجع أجنبية تُضاف قائمة المصادر والمراجع بها منفصلة عن قائمة المراجع والمصادر العربية، ويراعي في إعدادهما الترتيب الألفبائي لأسماء الكتب أو البحوث في المجلات.

٨- تطبع الجداول والصور واللوحات على أوراق مستقلّة، ويشار في أسفل الشكل إلى مصدرها، أو مصادرها، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن.

٩- إرفاق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث ينشر في المجلَّة للمرة الأولى، وأن يشير فيما إذا كان البحث قد قُدِّم إلى مؤتمر أو ندوة، وأنَّه لم ينشر ضمن أعمالهما، كما يشار إلى اسم أية جهة علمية، أو غير علمية قامت بتمويل البحث، أو المساعدة في إعداده.

١٠-أن لا يكون البحث منشورًا، وليس مقدّمًا إلى أيَّة وسيلة نشر أخرى.

١١- تعبِّر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبيها، ولا تعبَّر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار، ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنّية.

١٢- تخضع البحوث لتقويم سرَّيّ لبيان صلاحيّتها للنشر، ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء أَقُبِلَت للنشر أم لم تُقْبَل، وعلى وفق الآلية الآتية:

أ. يُبلَّغ الباحث بتسليم المادة المرسلة للنشر خلال مدَّة أقصاها أسبوعان من تاريخ التسلّم.

ب. يخطر أصحاب البحوث المقبولة للنشر بموافقة هيأة التحرير على نشرها وموعد نشرها المتوقّع.

جـ. البحوث التي يرى المقوّمون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تعاد إلى أصحابها، مع الملاحظات المحدَّدة، كي يعملوا على إعدادها نهائيًا للنشر.

د. البحوث المرفوضة يُبلَّغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.

هـ. يشترط في قبول النشر موافقة خبراء الفحص.

و. يُمنَح كلّ باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه، ومكافأة مالية مجزية.

١٣- يراعى في أسبقيَّة النشر:

أ- البحوث المشاركة في المؤتمرات التي تقيمها جهة الإصدار.

ب- تاريخ تسليم البحث لرئيس التحرير.

ج- تاريخ تقديم البحوث التي يتمَّ تعديلها.

د- تنويع مجالات البحوث كلَّما أمكن ذلك.

١٤- ترسل البحوث على البريد الإلكتروني للمجلة :

(turath@alkafeel.net)

أو على موقع المجلة:

http: / /karbalaheritage.alkafeel.net /

أو موقع رئيس التحرير:

drehsanalguraifi@gmail.com

أو تُسَلَّم مباشرةً إلى مقرِّ المجلَّة على العنوان الآتي:

(العراق/ كربلاء المقدسة/ المدينة القديمة/ باب الخان/ مُجَمَّع الإمام الصادق لأقسام العتبة/ الطابق الخامس).

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

"معا لمساندة قواتنا المسلحة الباسلة لدحر الارهاب"

الرقم :ب ت ٤ / ٩٨١٤
التاريخ : ٢٠١٤/١٠/٢٧

No:
Date:

" معا لمساندة قواتنا المسلحة الباسلة لدحر الارهاب"

العتبة العباسية المقدسة

م / مجلة تراث كربلاء

تحية طيبة..

استنادا الى الية اعتماد المجلات العلمية الصادرة عن مؤسسات الدولة ، وبناءاً على توافر شروط اعتماد المجلات العلمية لأغراض الترقية العلمية في **"مجلة تراث كربلاء"** المختصة بالدراسات والابحاث الخاصة بمدينة كربلاء الصادرة عن عتبتكم المقدسة تقرر اعتمادها كمجلة علمية محكمة ومعتمدة للنشر العلمي والترقية العلمية .

...مع التقدير

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

أ.د. غسان حميد عبد المجيد
المدير العام لدائرة البحث والتطوير وكالةً
٢٠١٤/١٠/

نسخة منه الى:
- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والنشر والترجمة
- الصادرة

www.rddiraq.com
Emailscientificdep@rddiraq.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الشَّمْعَةُ الثانية عشرة

الحمد لله حمدًا يعدل حمد ملائكته المقرَّبين وأنبيائه المرسلين، وصلَّى الله على خيرته من خلقه محمد خاتم النبيين، وآله الطاهرين المخلَصِين.

أمّا بعد

فمع هذا العدد المزدوج: الثالث والأربعين، والرابع والأربعين، تُوقِد مجلّة تراث كربلاء الشَّمْعَةَ الثانية عشرة من عمرها، يطرّزها العددُ الأوّلُ والثاني من المجلّد الثاني عشر، للسنةِ الثانية عشرة من عُمر المجلّة، فنحمد الله تعالى على مواصلة المسير في توثيق تراث مدينة كربلاء المقدّسة، وإحيائه عبر بحوث رصينة تتَّسم بالنضج والابتكار، جادت بها أقلام الباحثين الذين تعدَّدت اختصاصاتهم العلميّة، وثقافاتهم التراثيّة، فكان ذلك أحد أهمّ العوامل في ازدهار مجلّة تراث كربلاء، ونضوج ثمارها العلميّة والفكريّة والثقافيّة، التي أصبحت في متناول أيدي الباحثين والمحققين من أساتذة الجامعات والعلماء والمبدعين، وغيرهم ممّن يتلّهف لاقتطاف هذه الثمار.

يأتي هذا العدد متمّمًا لما بدأت به المجلّة في إيصال ما تجده ضروريًّا في طريق الارتقاء الفكريّ والمعرفيّ، فجاء البحث الأوّل دراسة عن كتاب (رياض المسائل) بين السابقة الفقهية والضرورة العصرية، ودرس البحث الثاني سيرة أحد أعلام الحائر ومنهجه في كتابة التاريخ؛ إذ اختصَّ بسيرة الشيخ فضل عليّ القزوينيّ، ودراسة منهجه في كتابه (الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه)، والبحث الثالث عُني بسيرة المقدّس الأردبيليّ، ومنهجِهِ

العلميّ في حاشيةِ التجريدِ، والرابع جاء ليظهر مواضع التصريحِ والتلميحِ للشاهد القرآنيّ في كتابِ صفوةِ الصفاتِ للشيخ إبراهيم الكفعميّ.

والخامس اختار دراسة التشكيل البيانيّ في شعر التصوُّف لدى الشاعر فضوليّ البغداديّ، والسادس تحدّث عن السيّد حسين بن مساعد الحسينيّ الحائريّ، واستعرض كتابه المخطوط الموسوم بـ(تحفة الأبرار من مناقب الأئمة الأطهار)، والسابع تتبّع رحلة نسخة التهذيب المخطوطة النفيسة إلى كربلاء المقدّسة في القرن العاشر الهجريّ، وبيَّن الفوائد التراثيَّة المستقاة منها، وتأسيسًا على الخطوة التي بدأناها في الأعداد السابقة من نشر مخطوطة محقَّقة انتقت الهيأة التحريريّة للمجلّة إحدى مخطوطات الشَّيخ إبراهيم الكفعميّ التي تحمل عنوان (غاية التلخيص في مسائل العويص).

وأمّا بحث اللغة الإنكليزية فعُني بدراسة مفهوم المعنى في مرجعيّات الشيخ إبراهيم الكفعميّ في كتابه (رتق الفتوق في معرفة الفروق).

ونطمح أن تتناغم هذه الأبحاث مع أذواق قرّائنا الكرام مجدّدين الدعوة للباحثين لتقديم أبحاثهم الأصيلة، التي تثري الساحة التراثية تحليلًا وتوثيقًا وتحقيقًا لتراث مدينة سيِّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

رئيس التحرير

كلمة الهيأة التحريرية

رسالةُ المجلّة

لماذا التراث؟

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى أشرفِ الأنبياءِ والمرسلينَ سيِّدنا محمَّدٍ وآلِه الطَّاهرينَ المعصومينَ، أمَّا بعد:

فأصبحَ الحديثُ عن أهمّيّةِ التُّراثِ وضرورةِ العنايةِ بِهِ وإحيائِهِ ودراستِهِ من البديهيَّات التي لا يَحسُنُ إطالةُ الكلامِ فيها؛ فإنَّ الأمّةَ التي لا تُعنى بتراثِها ولا تكرّمُ أسلافَها ولا تدرسُ مآثرَهُم وآثارَهُم لا يُرجى لها مستقبلٌ بينَ الأممِ.

ومن ميّزاتِ تُراثِنا اجتماعُ أمرَين:

أولهما: الغنى والشموليّةُ.

ثانيهما: قلّةُ الدراساتِ التي تُعنى به وتبحثُ في مكنوناتِه وتُبرزه، فإنّه في الوقت الذي نجد باقي الأممِ تبحثُ عن أيّ شيءٍ ماديٍّ أو معنويٍّ يرتبطُ بإرثها، وتُبرزُه وتُقيمُ المتاحفَ تمجيدًا وتكريمًا له، وافتخارًا به، نجدُ أمّتَنا مقصّرةً في هذا المجالِ.

فكم من عالمٍ قضى عمرَه في خدمةِ العلمِ والمجتمعِ لا يكادُ يُعرَفُ اسمُه، فضلًا عن إحياءِ مخطوطاتِه وإبرازِها للأجيالِ، إضافة إلى إقامةِ مؤتمرٍ أو ندوةٍ تدرسُ نظريّاتِه وآراءَه وطروحاته.

لذلك كلّهِ وانطلاقًا من تعاليمِ أهلِ البيتِ عليهم السلام التي أمرتنا بحفظِ التراثِ؛ إذ قالَ الإمامُ جعفرُ الصادق عليه السلام للمفضّلِ بنِ عمر: «اكتبْ وبثَّ علمَك في إخوانِك، فإنْ متَّ فأورث كتبَك بنيك»، بادرت الأمانةُ العامّةُ للعتبةِ العبّاسيّةِ

المقدّسةِ بتأسيسِ مراكزَ تراثيّةٍ متخصّصةٍ، منها مركزُ تراثِ كربلاءَ، الذي انطلقت منهُ مجلّةُ تراثِ كربلاءَ الفصليّةُ المحكّمةُ، التي سارت بخطىً ثابتةٍ غطّتْ فيها جوانبَ متعدّدة من التراثِ الضخمِ لهذهِ المدينةِ المقدّسةِ بدراساتٍ وأبحاثٍ علميّةٍ رصينةٍ.

لماذا تراثُ كربلاء؟

إنَّ للاهتمامِ والعنايةِ بتراثِ مدينةِ كربلاء المقدّسةِ منطلقينِ أساسيّينِ:

مُنطلَقٌ عامٌّ، يتلخّص بأنّ تراثَ هذهِ المدينةِ شأنُه شأنُ بقيّةِ تراثِنا ما زالَ به حاجةٍ إلى كثيرٍ من الدراساتِ العلميّةِ المتقنةِ التي تُعنى به.

مُنطلَقٌ خاصٌّ، يتعلّق بهذهِ المدينةِ المقدّسةِ، التي أصبحتْ مزارًا بل مقرًّا ومُقامًا لكثيرٍ من محبّي أهلِ البيتِ عليهم السلام، منذُ فاجعةِ الطفِّ واستشهادِ سيّدِ الشهداءِ سبطِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله الإمامِ أبي عبدالله الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فكان تأسيسُ هذهِ المدينةِ، وانطلاق حركةٍ علميّةٍ يمكنُ وصفُها بالمتواضعةِ في بداياتِها بسببِ الوضع السياسي القائم آنذاك، ثمّ بدأت تتوسّعُ حتّى القرنِ الثّاني عشرَ الهجريّ؛ إذ صارت قبلةً لطلابِ العلمِ والمعرفةِ وتزعّمتِ الحركةِ العلميّةِ، واستمرّت إلى نهاياتِ القرنِ الرَّابع عشر للهجرةِ؛ إذْ عادت حينذاك حركات الاستهداف السلبيّ لهذه المدينة المعطاء.

فلذلك كلّهِ استحقّت هذه المدينةُ المقدّسةُ مراكزَ ومجلّاتٍ متخصّصةً تبحثُ في تراثِها وتاريخِها وما رشح عنها ونتج منها وجرى عليها عبرَ القرون، وتبرز مكتنزاتِها للعيان.

اهتماماتِ مجلّةِ تراث كربلاء:

إنَّ أفقَ مجلّةِ تراثِ كربلاء المحكّمة يتسّعُ بسعةِ التراثِ بمكوّناتِه المختلفةِ، من العلومِ والفنونِ المتنوعة التي عُني بها أعلامُ هذه المدينةِ من فقهٍ وأصولٍ وكلامٍ ورجالٍ وحديثٍ ونحوٍ وصرفٍ وبلاغةٍ وحسابٍ وفلكٍ وأدبٍ إلى غيرِ

ذلك ممّا لا يسعُ المجالُ لاستقصاء ذكرها، دراسةً وتحقيقًا.

ولمّا كان هناك ترابطٌ أكيدٌ وعلقةٌ تامّة بين العلومِ وتطوّرِها وبين الأحداثِ التأريخيَّةِ من سياسيّةٍ واقتصاديّةٍ واجتماعيّةٍ وغيرها، كانت الدراساتِ العلميّةِ التـي تُعنى بتأريخِ هذه المدينةِ ووقائعِها وما جرى عليها من صلبِ اهتماماتِ المجلّةِ أيضًا.

مَنْ هم أعلامُ كربلاء؟

لا يخفى أنّ الضابطةَ في انتسـابِ أيّ شـخصٍ لأيّة مدينةٍ قد اختُلفَ فيها، فمنهـم من جعلَها سـنواتٍ معيّنة إذا قضاها في مدينةٍ مـا عُدّ منها، ومنهم من جعلَ الضابطةَ تدورُ مدارَ الأثرِ العلميّ، أو الأثر والإقامة معًا، وكذلك اختلفَ العُرفُ بحسبِ المدد الزمنيّةِ المختلفةِ، ولمّا كانت كربلاءُ مدينةً علميّةً محجًّا لطـلابِ العلمِ وكانت الهجـرةُ إليها في مددٍ زمنيّةٍ طويلةٍ لم يكن من السـهلِ تحديدُ أسماءِ أعلامِها.

فكانت الضابطة فيمن يدخلون في اهتمام المجلّة هي:

١- أبناءُ هذه المدينةِ الكرام من الأسرِ التي استوطنتها، فأعلامُ هذه الأسر أعلامٌ لمدينةِ كربلاء وإن هاجروا منها.

٢- الأعلامُ الذين أقاموا فيها طلبًا للعلمِ أو للتدريس في مدارسِها وحوزاتِها، على أن تكونَ مدّة إقامتِهم معتدًّا بها.

وهنا لا بدّ من التنبيهِ على أنّ انتسابَ الأعلامِ لأكثر من مدينةٍ بحسبِ الولادةِ والنشأةِ من جهةٍ والدراسة والتعلّم من جهةٍ ثانيةٍ والإقامة من جهةٍ ثالثة لَأمرٌ متعارفٌ في تراثِنا، فكم من عالمٍ ينسبُ نفسهُ لمدنٍ عدّة، فنجدُه يكتبُ عن نفسِه مثلًا: (الأصفهانيّ مولدًا والنجفيّ تحصيلًا والحائريّ إقامةً ومدفنًا إن شاء الله).

فمن نافلةِ القولِ هنا أن نقولَ: إنّ عَدّ أحد الأعلامِ من أعلامِ مدينةِ كربلاء لا يعني بأيّةِ حالٍ نفي نسبته إلى مدينته الأصليّةِ.

محاورُ المجلّة:

لّما كانت مجلّةُ تراثِ كربلاءَ مجلّةً تراثيّةً متخصّصةً فإنّها ترحّبُ بالبحوثِ التراثيّةِ جميعها من دراساتٍ، وفهارسَ وببليوغرافيا، وتحقيقِ التراثِ، وتشملُ الموضوعاتِ الآتية:

١ - تاريخُ كربلاء والوقائعُ والأحداثُ التي مرّت بها، وسيرة رجالاتها وأماكنها وما صدر عنها من أقوال ومأثورات وحكايات وحكم، بل كلّ ما يتعلّق بتاريخها الشفاهي والكتابي.

٢- دراسةُ آراء أعلامِ كربلاء ونظرياتِهم الفقهيّة والأصوليّة والرجاليّة وغيرها وصفًا، وتحليلًا، ومقارنةً، وجمعًا، ونقدًا علميًّا.

٣-الدراساتُ الببليوغرافيّة بمختلفِ أنواعِها العامّةِ، والموضوعيّةِ كمؤلّفاتِ أو مخطوطاتِ علماءِ كربلاء في علمٍ أو موضوعٍ معيّنٍ، والمكانيّة كمخطوطاتِهم في مكتبةٍ معيّنةٍ، والشخصيّة كمخطوطاتِ أو مؤلّفاتِ عَلَمٍ من أعلامِ المدينةِ، وسوى ذلك.

٤- دراسة شعر شعراء كربلاء من مختلف الجهات أسلوبًا ولغةً ونصًّا وما إلى ذلك، وجمع أشعار الذين ليس لهم دواوين شعرية مجموعة.

٥- تحقيق المخطوطات الكربلائية.

وآخرُ المطافِ دعوةٌ للباحثينَ لرفدِ المجلّةِ بكتاباتِهم، فلا تتحقّقُ الأهدافُ إلّا باجتماعِ الجهودِ العلميّةِ وتكاتفِها لإبرازِ التراثِ ودراستِه.

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمينَ والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ الأنبياءِ والمرسلينَ سيِّدنا محمَّدٍ وآلِه الطاهرينَ المعصومين.

المحتويات

ص	عنوان البحث	اسم الباحث
٢٣	رِياضُ المَسائِلِ بَيْنَ السَّابِقَةِ الفِقْهيَّة وَالضَّرُورَةِ العَصْرِيَّة	الشَّيخ زُهير قاسم التَّمِيميّ الحوزة العلميَّة/ قم المقدَّسة
١٠١	الشيخ فضل عليّ القزوينيّ دراسة في سيرته ومنهجه في كتاب (الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه)	أ.د. عليّ طاهر الحلّي جامعة كربلاء/ كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة
١٣٣	المقدّسُ الأردبيليُّ ومنهجُهُ العلميُّ في حاشيةِ التجريدِ	الشيخ محمَّد العبساويّ العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة/ مركز الشيخ الطوسيّ للدراسات والتحقيق
١٧٢	الشَّاهدُ القرآنيُّ في كتابِ صفوةِ الصفاتِ للكفعميّ (ت ٩٠٥ هـ) (بين التصريحِ والتلميحِ)	م. م عمّار عبد العبّاس عزيز مديرية التربية/ كربلاء المقدّسة
٢١١	التشكيلُ البيانيُّ في شعرِ فضّولي البغدادي (٩٠٠ - ٩٦٣هـ) شعر التصوُّف اختيارًا	م.د. حاكم فضيل الكلابي الكليَّة التربويَّة المفتوحة/ النجف الأشرف

٢٦٩	تُحفةُ الأبرارِ من مناقبِ الأئمَّة الأطهارِ للسيِّد حُسَينِ بنِ مُساعد الحُسَينيِّ الحَائريِّ (كان حيًّا سنة ٩١٧هـ) تعريفٌ بالمؤلِّف وعَرضٌ للمخطوط	أ.د.عبد الإله عبد الوهَّاب هادي العرداويّ جامعة الكوفة/ كليَّة التربيَّة الأساسيَّة
٣٠٧	رِحلَةُ نُسخةٍ نَفيسةٍ من تهذيبِ الأحكام إلى كَربلاءَ المُقدّسةِ في القرنِ العاشِرِ الهِجريِّ (دِرَاسَة تَحلِيلِيَّة)	الشيخ: محمَّد جعفر الإسلاميّ الحوزة العلميَّة/ النجف الأشرف

تحقيق التراث

٣٦٧	غايةُ التَّلخيصِ في مسائلِ العويصِ تأليف الشَّيخ إبراهيم بن عليّ ابن حَسَن بن مُحمَّد بن صالح ابن إسماعيل اللويزيِّ الكفعميِّ (ت٩٠٥هـ)	تحقيق الشَّيخ سامر عبد الأمير الزّبيديّ الحوزة العلميَّة/ النجف الأشرف الشَّيخ ضياء الشَّيخ علاء الكربلائيّ الحوزة العلميَّة/ كربلاء المقدَّسة
27	The References of Sheikh Al-Kaf'ami (d. 905 AH) in Ratq al-Futoq fi Ma'rifat al-Furooq – A Study on the Concept of Meaning	Prof. Dr. Sami Al-Madhi Al-Mustansiriyah University / College of Arts

الشيخ فضل عليّ القزوينيّ دراسة في سيرته ومنهجه في كتاب (الإمام الحسين -عليه السلام- وأصحابه)

Shaykh Fadl ‘Ali al-Qazwini: A Study of His Biography and Methodology in the Book (Imam al-Husayn, Peace Be Upon Him, and His Companions)

أ.د. عليّ طاهر الحلي

جامعة كربلاء/ كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة

Prof. Dr. Ali Tahir al-Hilli

University of Karbala / College of Education for Human Sciences

الملخص

أفـرزت نهضة الإمام الحسـين عليه السلام وسـيرته العطرة، عددًا غيـر قليل من العلماء والمؤرِّخين والباحثين والدارسين للوقوف على أبعادها التربويَّة ذات النهـج الاصلاحيّ، وما لهذا البعـد من امتدادات تاريخيَّـة تمثَّلت برجالاتها الأفـذاذ، كانت مثار اهتمام الشـيخ فضل عليّ القزوينـيّ بوصفه أنموذجًا من أولئك العلماء.

تضافرت عوامل متعدِّدة دفعت الشـيخ القزوينـيّ أن يركِّز اهتمامه بالثورة الخالـدة للإمـام الحسـين عليه السلام؛ منها دراسـته الدِّينيَّـة وتبحُّره في اسـتقصاء الحقائق التاريخيَّة منطلقًا من مكنته بالعلوم الشرعيَّة التي تتناغم مع ما يبحث ويمحِّص في بطون المصنَّفات ذات العلاقة، فكان كتاب «الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه» مصداقًا عمليًّا لذلك الاهتمام.

جاءت هذه الدراسة لبيان ماهية منهجه العلميّ المستخدم في إخراج كتاب «الإمام الحسـين عليه السلام وأصحابه» إلـى النور؛ إذ عمل الباحـث على الوقوف عنـد أبـرز محطَّات سـيرته الذاتيَّة، وجهـوده العلميَّـة التي بذلهـا في تأليف كتابـه المذكور آنفًا، مع التعريج على أهمِّ سـمات منهجـه العلميّ في الكتابة التاريخيَّة، التي جاءت في أعمِّها الأغلب تراجم لأنصار الإمام الحسـين عليه السلام ومن شاركه نهضته الخالدة من الرجال والنساء.

الكلمات المفتاحيَّة: فضل عليّ القزوينيّ، كتاب الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه.

Abstract

The uprising and blessed life of Imam al-Husayn, peace be upon him, have produced a considerable number of scholars, historians, researchers, and academics dedicated to uncovering its educational dimensions and reformative path—dimensions with historical extensions embodied in its remarkable figures. One such scholar who paid great attention to this legacy is Shaykh Fadl ‘Ali al-Qazwini, representing a model of those scholars.

Various factors contributed to Shaykh al-Qazwini’s deep interest in the immortal revolution of Imam al-Husayn, peace be upon him. These included his religious studies and his profound investigation into historical truths, stemming from his mastery of Islamic sciences that harmonize with the themes he pursued and critically examined within related sources. His book Imam al-Husayn, Peace Be Upon Him, and His Companions serves as a practical embodiment of this scholarly dedication.

This study seeks to clarify the nature of the scholarly methodology he employed in producing the aforementioned book. The researcher focused on the key stages of his personal biography and the academic efforts he exerted in composing his work, while also highlighting the most significant features of his historical writing methodology. This methodology primarily consisted of biographical entries for the supporters of Imam al-Husayn, peace be upon him, and those who shared in his eternal uprising—both men and women.

Keywords: Fadl ‘Ali al-Qazwini, Imam al-Husayn (PBUH) and His Companions

المقدمة

مثَّل الاهتمام بدراسة سير العلماء محورًا مهمًا في فضاء الدراسات الإنسانيَّة؛ لما يحمل بين طيّاته من الخير والفائدة الكبيرتَيْن للقارئ المتتبِّع لسِيَرِهم؛ كونه يجد فيها القدوة والأسوة الحسنة بعد النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، لذا جاءت المكتبة الإنسانيَّة محتوية على عدد غير قليل من كتب التراجم التي جاء الاهتمام بها متناغمًا مع ما سبق ذكره، فضلًا عما أسَّست له تلك التراجم من توفير المادَّة اللازمة لمن لهم مواقف مشهودة في الدفاع عن بيضة الإسلام وروحه.

لذا ظهر الاهتمام بتدوين كلّ ماله علاقة بثورة الإمام الحسين عليه السلام، ولا سيّما أنصاره من رجالات الإيمان الحقيقيّ الذين بذلوا مهجهم دون إمامهم عليه السلام، فكانت كتب المقاتل أُنموذجًا لذلك الاهتمام؛ من أمثال مقتل ابن مخنف، ومقتل ابن أعثم الكوفيّ، ومقتل الخوارزميّ وغيرها من المصنّفات التي دوَّنت لنا أحداث مقتل الإمام الحسين عليه السلام.

تطوَّرت الكتابة التاريخيَّة بشكل أوسع لتشمل الخوض في سيرة رجالات المواقف الخالدة وأنسابهم ودراستها، ممّا خلق لنا علمًا خاصًّا بالموضوع سُمِّي بـ«علم التراجم» مركِّزًا ومهتمًّا بالشخصيَّة نفسها مثار البحث والاهتمام، فجاء كتاب «الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه» مصداقًا جليًّا لذلك العلم؛ إذ اعتنى مؤلِّفه الشيخ فضل عليّ القزوينيّ بترتيب أسماء من حضر واقعة الطف الأليمة وأحداثها بالشكل والصياغة التاريخيَّة التي تستحقُّ معها الدراسة وتسليط الضوء؛ لذا جاء اختيار العنوان متناغمًا مع تلك الأهمِّيَّة.

تكـوَّن البحث من هذه المقدّمة وثلاثـة مباحث وخاتمة؛ بيَّن فيها الباحث أبـرز مـا توصَّل إليه من اسـتنتاجات، وَقد تنـاول المبحـث الأوّل الذي جاء بعنوان «أهمِّيَّة علم التراجم والحاجة إليه» مفهوم التراجم وتأسيسـات كتابها الأوائل وأبرز ما تنضوي عليه من مدلولات معرفيَّة.

فـي حين عالـج المبحث الثانـي المعنون بالشـيخ فضل علـيّ القزوينيّ. سـيرته الذاتيَّة، وأبرز محطات حياة الشـيخ القزوينيّ وروافـد بنائه الفكريّ، وسـلّط المبحث الثالث -الذي جـاء تحت عنوان: منهج الشـيخ فضل عليّ القزوينـيّ في كتابه أنصار الإمام الحسـين عليه السلام وأصحابـه- الضوء على أبرز سـمات المنهج العلميّ للشـيخ فضل القزوينيّ مفصّلًا جملـة مطالب؛ منها «وصف الكتاب وبيان مظانه» و«أسلوب الشيخ القزوينيّ في تأليف الكتاب» و«موارد كتاب الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، وصف وتحليل».

اعتمـد الباحث جملة من المصادر والمراجع فـي كتابة بحثه، كان أبرزها كتاب «الإمام الحسـين عليه السلام وأصحابه»؛ إذ شـكَّل المرتكز والأساس من بين مصادر البحث، وعمل الباحث على تحليل مظانه للوقوف على جهود الشيخ القزوينـيّ في معالجة قضيَّة الإمام الحسـين عليه السلام بطريقـة منهجيَّة متفردة من نوعها من جهة الأسلوب والخصائص.

واعتمـد الباحـث مصادر منوَّعـة أُخَر جـاءت مكمِّلة لسـابقتها، أضافت للبحث قيمة علميَّة لا بأس بها من ناحية إيرادها بشكل مكمِّل ومؤيِّد لما ورد في النصِّ من معلومات تاريخيَّة.

المبحث الأوَّل: أهمِّيَّة علم التراجم والحاجة إليه.

استدعت الضرورة العلميَّة بالتوسُّع في كلِّ ما هو أساس من العلوم والفنون ذات التأثير المباشر على حركة التاريخ المتصاعدة؛ إذ اشتبكت العلوم الانسانيَّة فيما بينها تكمّل إحداهما الأخرى من أجل الوصول إلى توصيف معرفيّ متكامل للمشكلة المراد حلّها، سواء أكانت ذات محتوى تاريخيّ أو أدبيّ او اجتماعيّ أو سياسيّ... إلخ.

أمَّا علم التراجم، فهو علم يتناول سِيَر حياة الأعلام من الناس عبر العصور المتعاقبة، وهو علم دقيق يبحث في أحوال الشخصيَّات والأفراد من الناس، الذين تركوا آثارًا في المجتمع، ويتناول هذا العلم طبقات الناس كافّة من الأنبياء والخلفاء والملوك والأمراء والقادة والعلماء في شتَّى المجالات والفقهاء والأدباء والشعراء والفلاسفة وغيرهم، ويُعنى بذكر حياتهم الشخصيَّة، ومواقفهم وأثرهم في الحياة وتأثيرهم فيها.

وقد اعتنى المسلمون الأوائل بهذا العلم ومنذ عهد النبيّ ﷺ حينما أنزل الله تعالى قرآنًا يُتلَى إلى يوم القيامة، وفيه التنبيه على ضرورة معرفة الناقل للأنباء والأخبار والتأكُّد من معرفة صلاحه واستقامته وتديُّنه، كما في قول الله جلَّ وعلا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[1].

ومن الجدير بالذكر أنّ هذا العلم جزء أساس من علم التأريخ، وعلم التأريخ علم له مكانته وأثره، فبالإضافة لِمَا لهذا العلم من الثمار والفوائد

(١) سورة الحجرات: الأية ٦.

العديدة إلَّا أنَّ هناك دلائل كثيرة تؤكّد أهمِّيَّة العنايَة به، والتصنيف فيه، والاستقراء لمؤلَّفاته، والاهتمام بها، وأسوق هنا بعضًا من كلام العلماء المتقدِّمين في أهمِّيَّة علم التاريخ، وهي أقوال تدلُّ على أنَّهم يعنون به، وبما يُذكر في التاريخ من أعمال الناس ومواقفهم وآثارهم وتأثيراتهم في الحياة، ولعلَّ تسمية بعض المتقدِّمين لمصنَّفاتهم في التراجم بالتأريخ دليل على ذلك، ويعدّ علم التراجم عمومًا فرعًا من فروع علم التاريخ، الذي يحتاج إليه العالم وطالب العلم على السواء؛ إذ به يُعرف المتأخِّرون أحوال من تقدَّمهم من الرجال والعلماء، وبه يُعرف وفاء المتأخِّرين لمن تقدَّمهم من أهل العلم والفضل[1].

ولهذا العلم من الفوائد والفضل على باقي العلوم الإنسانيَّة الشيء الكثير فأصحاب التراجم والسِّيَر هم صَنَعَة التأريخ، وهم أبطال المسيرة، وهم من حُفِظت بسببهم الأخبار، وانطبعت في عقول الناس عنهم المآثر والآثار، فلولا أولئك ما ذُكِر التأريخ وما دوِّن، وبسبب أخبارهم ارتقت الأمم الحيَّة، مستنطقة مواقفهم عِبَرًا، ومستمطرة أخبارهم دروسًا.

ومن المناسب هنا أن نلتمس من آي القران الكريم دليلًا يبيّن لنا أهمِّيَّة هذا العلم؛ إذ قال الله سبحانه وتعالى وهو يبيِّن لنبيِّه صلى الله عليه وآله أنه يقصُّ عليه من أنباء السابقين تثبيتًا له وذكرى وموعظة للمؤمنين، ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَـذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

وقد تنبَّه علماؤنا لأهمِّيَّة ذلك العلم، وتكاتفت الجهود المضنية للعمل

(١) ينظر. شذرات الذهب : ١/ ٨.

(٢) سورة هود : اية ١٢٠.

في هذا السـبيل من علمائنا المتأخِّرين، بين اختصار وتفصيل وشرح وتعليق، لجملة من الفُقَهاء والعلماء الذين تصدُّوا لحمل الرسالة المحمَّديَّة السمحة؛ مدعومـة بالأدلِّة المتينـة المحكمة، التي كانت دراسـة أحوالهم عمدة جهود الشيخ فضل عليّ القزوينيّ في كتابه «الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه رضي الله عنهم».

المبحث الثاني: الشيخ فضل عليّ القزوينيّ...سيرته الذاتيَّة.

هو الشيخ فضل عليّ بن ولي محمد القزوينيّ المعروف بالمهدويّ، وُلِد في مدينة قزوين بقرية «تنوره»، ونشأ في كنف والده الذي كان معروفًا بالتقوى والصلاح بين أبناء مدينته، كي يعدُّه عالمًا فاضلًا صالحًا[1].

انتقل إلى قزوين في سنِّ الخامسة عشرة من عمره، وفيها درس المقدّمات الحوزويَّة على أفاضل مدرِّسي المدرسة الصالحيَّة، وأكمل السطوح وشطرًا من البحث الخارج متتلمذًا على يد الشيخ محمَّد عليّ البرغانيّ القزوينيّ، ليتوجَّه بعدها إلى طهران ليأخذ الحكمة والفلسفة على السيِّد أبو الحسن جلوة الذي لازمه حتَّى وفاته عام ١٣١٤هـ، ليقصد هذه المرّة مدينة أصفهان متتلمذًا على أعلامها[2].

جاءت مرحلة النجف الأشرف التي انتقل إليها ليحضر فيها الأبحاث العالية في الفقه والأصول لدى أعلام مدرِّسيها من أمثال حبيب الله الرشتي[3]، والسيِّد محمد كاظم الطباطبائيّ اليزديّ[4]، وأكمل دورة أُصوليَّة كاملة عند

(١) يُنظر: تراجم الرجال: ٢/ ٣٠٥.

(٢) يُنظر: علماء كربلاء في ألف عام: ١/ ٢٧٣.

(٣) حبيب الله الرشتي (١٢٣٤ - ١٣١٢هـ): هو الشيخ حبيب الله بن محمّد علي خان بن إسماعيل خان الرشتيّ، ولد في رشت وأكمل دراسته الدِّينيَّة في كلٍّ من قزوين والنجف، أصبح من مدرِّسي مرحلة السطوح العالية المعروفين بعد وفاة أستاذه مرتضى الأنصاري، فأخذ كثير من رجال الدِّين بحضور دروسه في الفقه والأصول. ينظر: أعيان الشيعة: ٤/ ٥٥٩.

(٤) محمّد كاظم اليزدي (١٨٣١-١٩١٩م) هو محمّد كاظم بن عبد العظيم اليزديّ فقيه الإماميَّة ومرجعها الأعلى، وُلِد عام ١٨٣١م كان له موقف سلبيٌّ من المشروطة -

المولى محمَّد كاظم الخراسانيّ[١] مع بعض الأبحاث الفقهيَّة، ولم يفته الارتحال إلى مدينة كربلاء المقدّسة متتلمذًا على أعلامها من أمثال مدرِّس الطفّ الشيخ الميرزا عليّ نقيّ البرغانيّ الحائريّ آل الصالحيّ[٢].

عاد الى موطنه قزوين بحدود عام ١٣٢٧هـ، ليتصدَّى إلى التأليف والتدريس والإفتاء، فتخرَّج عليه جمع غفير من طلبة العلوم الدِّينيَّة؛ حيث اشتهر «بحلاوة التعبير، وحسن التفهيم، ورشاقة البيان، وإحاطته بآراء السلف»[٣]، وكان يقيم الجماعة في مسجد خلج، ثمَّ في مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله ظهرًا وليلًا[٤].

كما كان له أثر بارز عند اندلاع شرارة الثورة الدستوريَّة في بلاد فارس؛ إذ كان في طليعة الثوَّار الفرس المطالبين بضرورة إحلال الدستور والإصلاحات

رغم اجتماع أكثر العلماء على تأييدها وهو صاحب موسوعة العروة الوثقى توفّي سنة ١٩١٩م. درس السيّد اليزديّ على يد والده والمرحوم ملّا محمّد إبراهيم الأردكانيّ والمرحوم الآخوند زين الدِّين العقدائيّ والآخوند الملّا هادي ومحمّد باقر النجفيّ وغيرهم. معارف الرجال: ٢/ ٣٢٦-٣٢٩.

(١) محمّد كاظم الآخوند(١٨٣٩-١٩١١م): هو محمّد كاظم بن حسين الهرويّ، ولد من أسرة معروفة بالعلم والصلاح، هاجر إلى النجف عام ١٨٦٢م، والتحق بدرس الشيخ الأنصاريّ والمجدِّد الشيرازيّ توفّي في النجف في ١٢ كانون الأوّل ١٩١١م، من آثاره المهمّة كتاب كفاية الأصول، ومن أشهر مواقفه مساندته للثورة الدستوريّة، ووقوفه بوجه الغزو الروسيّ لبلاد فارس عام ١٩١١م. محمّد كاظم الآخوند(١٨٣٩-١٩١١م) دراسة تاريخيّة: ٦٦-٦٧.

(٢) يُنظر: مستدركات أعيان الشيعة: ٧/ ٢٠٩.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) يُنظر: تراجم الرجال: ٢/ ٣٠٦.

الجديدة، على وفق توجيهات الآخوند الخراسانيّ، علاوةً على انتخابه نائبًا عن مدينة قزوين في الدورة الثالثة من البرلمان القاجاريّ[١].

كان للشيخ القزوينيّ إضافة إلى تبحُّره بالعلوم الحوزويَّة، دراية واسعة بعلوم الجفر والكيمياء، والتواريخ والسِّيَر، وله إسهامات فاعلة في التحقيق التاريخيّ؛ إذ اتَّسمت جهوده في هذا المجال بـ«الدقَّة في النقل، والفحص في مختلف الآراء والاستنتاج الواعي»[٢]، وأقام في مدينة قزوين سنين متعدّدة، غير أنّه اضطرّ إلى الخروج منها بسبب الفوضى التي حصلت من جرَّاء تداعيات حادثة كشف الحجاب، فهاجر على إثرها إلى كربلاء مقيمًا فيها أربعة عشر عامًا مشتغلًا بالبحث والتحقيق والإفادة[٣].

أثرى الشيخ فضل عليّ القزوينيّ المكتبة الإنسانيَّة بمؤلفات قيّمة كثيرة كان منها كتاب «الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه» و«شرح خطبة الزهراء عليها السلام» و«تاريخ وأحوال السيدة فاطمة أُخت الإمام الرضا عليه السلام» و«ترجمة حياة فاطمة الزهراء عليها السلام» و«كتاب مذهب وجعفر» وغيرها.

(١) يُنظر: أعلام من كربلاء: ١٨٨.

(٢) تراجم الرجال: ٢/ ٣٠٦.

(٣) يُنظر: المصدر نفسه: ٢/ ٣٠٦.

المبحث الثالث: منهج الشيخ فضل عليّ القزوينيّ في كتابه (الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه).

أوّلًا: وصف الكتاب وبيان مظانّه.

جاء كتاب (الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه)، بأربعة أجزاء، تناول الأوّل منها موضوعة نهضة الإمام الحسين عليه السلام على وفق تسلسل منطقيّ ابتدأه ببيان أهمّ الظروف الموضوعيَّة التي سوَّغت له عليه السلام الشروع بمسيرته نحو أرض الشهادة (كربلاء)، وتبعه الجزءان الثاني والثالث؛ أحدهما مكمل للآخر من ناحية اشتمالهما على ترجمات لأصحابه وأقربائه، ليأتي الجزء الرابع ملحقًا بالثالث (في المجلَّد نفسه) بيّن فيه الشيخ القزوينيّ ترجمات مَن حضر يوم الطف ولم يفز بالشهادة فيه، مرتّبًا على وفق ترتيب ألفبائيّ، مخصّصًا في نهاية كلامه ملحقًا بسيرة الإمام السجاد عليه السلام إبان النهضة، ولعلّ ذلك الأمر يعود لأهميَّة الأحداث التي اشترك بها الإمام عليه السلام فآثر الشيخ القزوينيّ أن يذكرها بالتفصيل في فصل مستقلّ[1].

ومن الجدير بالذكر أنَّ محقّق الكتاب السيّد أحمد الحسينيّ قد أفرد جزءًا أسماه (الجزء الرابع) بفهرسة ما ورد ذكره في الأجزاء التي سبقته، فهرسةً فنّيّةً راعى فيها جلّ ضوابط الفهارس المعمول بها في المعاجم والموسوعات ذات الأجزاء المتعدّدة.

وعمل المحقّق الذي بلغ غاية جهده في مقابلة النسخ المتعدِّدة للكتاب

(١) ينظر: الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه: ٣/ ٣٤١-٤٢١.

دونما ذكر عددها[١]، مع عنايته البالغة بتخريج جميع ما ورد في المتن من إشارات مرجعيّة، مع تحديد الاختلافات التي قد ترد في شروحات بعض النصوص التاريخيَّة أو الأبيات الشعريَّة فيما إذا قورنت بمصادرها الأساس[٢]، علاوةً على إضافة جملة من التعريفات والتخريجات التي جاءت متناغمة مع ما ورد في النصّ المحقّق من معلومات وتوثيقها سندًا[٣].

جاء الجزء الأوّل مشتملًا على ذكر التأسيسات الأولى لنهضة الإمام الحسين عليه السلام وبواقع تسعة أبواب؛ ابتدأها بخطبته عليه السلام لمّا عزم الخروج إلى العراق؛ إذ عدّها الشيخ القزوينيّ من «إعجازه وكراماته»؛ لما فيها من بلاغة وبراعة في استهلال ما سيحدث، معرّجًا في الوقت نفسه على أبرز الاحتجاجات التي واجهها الإمام عليه السلام التي جاءت على لسان مؤرِّخي تلك الحِقبة التاريخيَّة[٤].

وتضمَّن كلّ من الأبواب الثاني والثالث والرابع، جملة من رسائله وأجوبته لِمَن سأله أو تعرّض له أو اعترض عليه من أمثال محمّد بن الحنفيَّة ومروان بن الحكم وغيرهم[٥].

في حين سلّط الباب الرابع الضوء على وصايا الإمام عليه السلام لأهله وعياله

(١) ذكر المحقّق بأنه هناك أكثر من نسخة للكتاب المخطوط، جهد في مقابلتها وبيان اختلافاتها. ينظر: الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه: ١/ ٢٤-٢٥.

(٢) ينظر على سبيل المثال مجموعة من الاختلافات التي أشَّرها المحقّق في غير موضع، منها: الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه: ١/ ٦٢، ٢/ ٣٣١، ٣/ ٨٠.

(٣) ينظر: على سبيل المثال: المصدر نفسه: ١/ ٨٦، ٢/ ٢٠٩، ٣/ ٢٦٠.

(٤) يُنظر: المصدر نفسه: ١/ ٣٨-٣٩.

(٥) يُنظر: المصدر نفسه: ١/ ٨٩-١٠٢.

والمقرّبين لديه، التي أحصى منها الشيخ القزوينيّ سبع وصايا؛ قسّمها بين أخيه محمّد بن الحنفيَّة وأم سلمة وابنته فاطمة الكبرى وابنه الإمام السجاد عليه السلام وأُخته السيّدة زينب عليها السلام قبل وصولهم أرض كربلاء وبعدها، وأخرى لأهل بيته وأقربائه، اشتملت جميعها على الرقراق من العبارات التوعويَّة، والمواعظ الأخرويَّة؛ إذ أمرهم بالصبر ووعدهم بالثواب والأجر[١].

وجاء الباب الخامس الأكبر حجمًا بين أقرانه تحت عنوان (وقائع السفر من المدينة إلى مكّة)؛ إذ تضمّن أحداثًا تاريخيَّة أوردها الشيخ القزوينيّ على وفق تتابع زمنيّ ابتدأه من خروجه عليه السلام من المدينة إلى مكّة إلى كربلاء[٢]، مع ذكر المنازل التي مرّ بها في سفره من مكّة إلى كربلاء، وأهمّ الشخصيّات التي التقى بها عليه السلام وما جرى بينهم من محاورات أوردتها أُمّات الكتب التي تناولت نهضته عليه السلام وأحاديثه الواردة عنه[٣].

وتحدّثت الأبواب (السادس إلى التاسع) عن مجريات الأحداث التي مرّت على الإمام عليه السلام في كربلاء وليلة عاشوراء، مبيّنًا التفصيلات والابتلاءات المختلفة والمتعدّدة التي مرّت عليه، والتي أصبحت فيما بعد المادّة والمستند في ذكر مصيبته عليه السلام[٤].

أمّا الجزء الثاني من الكتاب فقد تضمّن ترجمة (١٦٩) ممّن استشهد

(١) يُنظر: الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه: ١/ ١٠٣-١٢٠.

(٢) وهو خلاف ما ورد في العنوان الذي اقتصر على مسيرة الإمام عليه السلام من المدينة إلى مكّة المكرّمة، دونما الإشارة إلى سبب ذلك.

(٣) يُنظر: من أمثال «إبصار العين» و«اللهوف» و«نفس المهموم» و«الإرشاد» و«الكافي» وغيرها.

(٤) يُنظر: الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه: ١/ ٢٨٣-٤٦٧.

في سبيل الإمام الحسين عليه السلام سواء أكانت شهادته قبل واقعة الطفّ من أمثال مسلم بن عقيل [١] وهانئ بن عروة [٢]، وسليمان بن زرين [٣] أم بعدها كالهفهاف بن مهند الراسبيّ [٤].

ومن الجدير بالذكر أنّ التفاتة الشيخ القزوينيّ كانت متأتيّة من مفهومه لمصطلح (في سبيل الحسين عليه السلام) الذي عمّمه على كلّ مَن نهض من أجله ممهدًا لدعوته عليه السلام، ممّن بايع مسلم بن عقيل أو ممّن قتلهم ولاة الأمويّين بـ«التهمة» و«الظنّة» [٥].

مع التنويه إلى أنّ ذكر هؤلاء الأصحاب جاء على وفق ما ذكرته كتب

---

(١) مسلم بن عقيل الهاشميّ القرشيّ (٢٢- ٦٠هـ): وهو ابن عمّ الحسين بن عليّ وقد أرسله إلى أهل الكوفة لأخذ البيعة منهم، وهو أوّل مَن استشهد من أصحاب الحسين بن عليّ في الكوفة. وقد عُرف فيما بعد بأنّه (سفير الحسين). للتفاصيل ينظر. أعيان الشيعة: ١/ ٥٩١.

(٢) هانئ بن عروة (-٦٠هـ):هو هانئ بن عروة بن الفضفاض، وهو من أبرز وجوه الكوفة وأشرافها، وأحد خواصّ أصحاب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام كانت داره مركز النشاط السياسيّ في الكوفة عند قدوم عبيد الله بن زياد إليها، وقد أدّى دوراً بارزاً في دعم حركة مسلم بن عقيل عليه السلام. للتفاصيل ينظر: أنساب الأشراف: ٢/ ٣٣٦ ٣٣٧.

(٣) سليمان بن زرين (... - ٦٠هـ): هو مولى الإمام الحسين عليه السلام، بعثه الإمام بكتاب إلى أشراف أهل البصرة، يدعوهم إلى نصرته، فاعتقله ابن زياد، وأودعه السجن ثمّ قتله. للتفاصيل ينظر: اللهوف: ٢٩.

(٤) الهفهاف بن المهند الراسبيّ (... - ٦١هـ): من أصحاب الإمام الحسين بن عليّ، خرج من البصرة إلى كربلاء عندما سمع بخروج الإمام الحسين عليه السلام، وقد وصل إلى كربلاء عندما انتهت المعركة، وتصاعدت أعمدة الدخان من الخيام، ورفعت الرؤوس على الرماح، فقاتل عسكر عمر بن سعد حتّى قتلوه. يُنظر: قاموس الرجال: ١٠/ ٥٧٢.

(٥) ينظر: الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه: ٢/ ٧-٣٤٨.

المقاتـل والتاريخ، وإلّا فالمقتولون في سـبيله عليه السلام من أوّل خروجه إلى بعد شهادته كثيرون، بلحاظ التعذيب والتنكيل الكبيرين[١] اللذين طالا شيعة أهل البيت عليهم السلام من قبل حكّام بني أُميَّة[٢].

وجاء الجزء الثالث متماثلًا في موضوعه مع سابقه من جهة تتميم ترجمات أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، غير أنَّه اختصَّ بذكر النساء والصبيان منهم؛ إذ وقف الشـيخ القزوينيّ على إيراد ترجماتهم وما جرى لهم منذ خروجهم من المدينة إلى رجوعهم إليها[٣].

ترجم الشـيخ القزوينيّ لـ (٤٧) امرأة، و(١٢) رجلًا من عيال الإمام عليه السلام وصبيانـه وأهل بيته عليهم السلام، وعلى وفـق ترتيب ألفبائيّ مبتدئًا بالنسـاء أوّلًا، ومن ثـمَّ الصبية والرجال الذين لم ينالوا شـرف الشـهادة في الطـفِّ، مع ملاحظة اختصـاره في بعـض الترجمات ليسـتفيض بها في موضع آخـر من الكتاب؛ لأهمِّيَّتها ومحوريَّتها؛ من أمثال السيِّدة زينب والإمام زين العابدين عليهما السلام[٤].

ثانيًا: أسلوب الشيخ القزوينيّ في تأليف الكتاب.

جرى قلم الشـيخ القزوينيّ على اسـتخدام أسـلوب سـلس واضـح بعيدٍ عن العبـارات والتراكيب اللغويَّـة المعقّدة، وبأسـلوب علميّ[٥] راعـى متطلَّبات فنِّ الكتابة القائم على التركيز في صياغة العبارة بشكل سليم يبتعد بها عمّا هو مجازيّ.

---

(١) للتفاصيل حول مظلومية الشيعة في ذلك العهد ينظر: الشيعة والحاكمون: ٧٣- ١٠٢.

(٢) ينظر: الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه: ٢/ ٣٤٩.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ١١- ٤٢١.

(٤) ينظر: المصدر نفسه:: ٢/ ١٠٧-٣٠٢؛ ٣٤١-٤٢١.

(٥) عن الأسلوب العلمي ومقوماته ينظر: أصول البحث: ص ٢١١.

وشكّل وضوح الأسلوب أحد أبرز العوامل التي تجعل العبارة سهلة الفهم، مع ترابط مجموعها ترابطًا متسلسلًا يقرّب الفكرة المراد طرحها للقارئ، ساعده بذلك مكانته العلميَّة ودراسته الدِّينيَّة التي أتاحت له قدرًا كافيًا من العلوم العقليَّة والنقليَّة مع ما تمتَّع به من ملكات عقليَّة مكَّنته بأن تأتي كتابته بهذا الشكل، فكان (السهل الممتنع)[1]، أحد مميَّزات كتابته التاريخيَّة، التي بها يتمكَّن القارئ من إدراك لما كان يورده في كتابه (الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه).

كانت لدراسة الشيخ القزوينيّ الدِّينيَّة وما لها من عمق تحقيق وتحليل أهمِّيَّة في استحصال الحكم الشرعيّ، الأمر الذي بانَ جليًّا في كتاب (الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه)؛ إذ لا يخفى أن دراسة علم الحديث والرجال من الأسس التي يعتمدها الفقيه لمعرفة أحكام الشريعة المقدَّسة، علاوةً على تمكُّنه من علوم متعدِّدة ومعارف أُخَر تجاوزت الرجال المترجم لهم في موسوعته؛ إذ اشتمل كتابه على مصطلحات، وأسماء مدن وقبائل ومعارف أُخَر، استعرضها على وفق خطوات منهجيَّة مدروسة تدلِّل على مكنة صاحبها من أدوات الكتابة التاريخيَّة[2].

(١) السهل الممتنع: أحد أساليب الكتابة عند العرب الذي (يظن من سمعه لسهولة ألفاظه وعذوبة معانيه أنه قادر على الإتيان بمثله عزَّ عليه مثاله وامتنع عن طالب معارضته فلا يناله). وهو أسلوب القرآن الكريم نفسه، ومنه في أحاديث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الشيء الكثير، معجم النقد العربي القديم، ج٢ / ص٥٠.

(٢) عن منهج البحث التاريخي وشروطه وآلياته ينظر: التاريخ فكراً ومنهجاً:٣٣-٣٥، وأصول البحث: ١٤٧-١٤٩.

وعلى الرغم من توظيف الشيخ القزوينيّ مقولات المنهج الوصفيّ[١] في سرد الأحداث إلّا أنّه لا يستغرق في ذلك، بل كثيرًا ما كان يجمع بينه وبين المنهج التحليليّ التعليليّ[٢]، ولاسيّما مع الروايات التي تحوم حولها الشكوك؛ إذ يقف منها موقف المدقِّق المتفحِّص، ينقدها داخليًّا وخارجيًّا[٣]، حتّى يخلص إلى النتيجة التي يراها مناسبة؛ معلّلًا بعد ذلك ميله للرواية الصحيحة، فيضع تلك الأسباب في نقاط متعدّدة تعكس رأيه فيها؛ مستندًا إلى الأدلّة التاريخيّة حينًا والعقليّة حينًا آخر[٤].

فعلى سبيل المثال لا الحصر، عالج الشيخ القزوينيّ قضيّة خروج الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء، وإجاباته عليه السلام على من اعترض عليه في أمر المسير، موردًا ومحلّلًا لأبرز الروايات التاريخيّة الواردة في هذا الخصوص، فتارةً يقول عليه السلام: «إنّ أهل الكوفة كتبوا إليّ كذا وكذا»، وتارة «رأيت في المنام»، ليقول أيضًا: إنّ الإمام عليه السلام قد كشف لسرّ الشهادة، وسبب الخروج لأخيه محمّد بن الحنفيّة وألزمه بسرِّ الشهادة والسبي؛ إذ يقول الشيخ القزوينيّ في هذا الصدد ما نصّه: «وهذا هو السر في الشهادة لا الشفاعة وغيرها مما ذكروها في سرّ الشهادة»[٥] معضِّدًا ومبيِّنًا في الوقت نفسه مبدأ «ما قُتِل إلاّ أن

(١) عن المنهج الوصفي وماهيته وتطبيقاته ينظر : منهجية البحث العلمي: ص٥٠.

(٢) عن المنهج التحليلي التعليلي ينظر :كلمة في تعليل التاريخ: ص٢٩.

(٣) عن النقد الداخلي والخارجي للروايات ينظر: طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار: ص٧٩- ص٨٠.

(٤) ينظر على سبيل المثال: أعيان الشيعة: مج٤/ ص٤٠٤؛ مج٦/ ص٢٩٦، ص٤٦٩.

(٥) الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه: ١/ ١٠٠.

شاء الله أن يراه قتيلًا، وما سُبِي إلَّا أن شاء الله أن يراهنَّ سبايا»[1].

ومن الجدير بالإشارة إلى أنَّ ما ذهب إليه الشيخ القزوينيّ تناغم مع جملة من الدراسات المعاصرة التي تناولت مسألة خروج الامام الحسين عليه السلام بالتحليل، مبيّنةً ومجمّعةً في الوقت نفسه على أنَّ مسألة الخروج كانت بمشيئة الله وتخطيطه، وأنَّ ما ذُهِب إليه من رأي طُرِح على الساحة الفكريَّة من أنَّ الإمام عليه السلام قد خطَّط للثورة على وفق قناعاته وحساباته الماديَّة هو «ظلم» و«استهانة» بنهضته عليه السلام[2].

وفي موضع آخر من كتاب(الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه) أثبت الشيخ فضل عليّ القزوينيّ براعته في التحليل والاستنتاج عبر استقراء موقفه بإزاء وافر الأصول التاريخيَّة المتضاربة فيما بينها، فعلى سبيل المثال وفي سياق ترجمته للسيِّدة زينب عليها السلام فصَّلَ صفحات طوال حول عشرات الروايات المتضاربة من ناحية المضمون والمضطربة من جهة السند حول زواجها عليها السلام أو رفقتها لأخيها الإمام الحسن عليه السلام وما ورد في وفاتها في أثناء حياته، وصولًا الى مسايرتها لأخيها الإمام الحسين عليه السلام، وما جرى عليها من أحداث بعد استشهاده.

وقد لحظ الباحث أنَّ تتبُّع الروايات التاريخيَّة ومقارنتها ببعضها الآخر، وبيان أوجه قبولها ورفضها من الشيخ القزوينيّ، كان دليلًا على تمكُّنه من ناصية البحث العلميّ الرصين القائم على استقراء الأحداث ونقدها للوقوف على الحقيقة قدر الإمكان؛ إذ شكَّلت عبارات من أمثال «ثمَّ تتبَّعنا بذكر

(١) وهو عين ما ورد عنه عليه السلام، وما أكَّدته كتب الحديث. ينظر: الكافي :١/ ١٥٠.

(٢) ينظر في هذا الخصوص تحليلات السيِّد محمد سعيد الحكيم، وإفاضاته في الأسباب الموجبة لنهضة الحسين المباركة. فاجعة الطف: ١٣-٥٥٧.

مـا قاله الفريقان، ثـمَّ نذكر المختار مـع دليله»[١] و«ما رواه فلان مرسـل»[٢] و«فالاسـتدلال بمثل هـذه الرواية ليس له وجه»[٣]، أدوات تعامل بها الشـيخ القزوينيّ مع النصوص التاريخيَّة لتخرج بحلَّتها الموثوقة.

وامتاز أسلوب الشيخ القزوينيّ بإيراد جملة من الاستنتاجات في الشخصيَّة أو الحادثـة المراد معالجتها، وعمد إلى إصدار أحكام تحليليَّة كانت نتيجة ما توصَّل إليه من قراءات لموارد متعدِّدة، ليأتي برأي ينمُّ عن براعته في التحليل والاسـتنتاج والمقارنة، فعلى سـبيل المثـال لا الحصر وفي سـياق ذكره لما جرى في يوم عاشـوراء بيَّن الشـيخ القزوينيّ تحفظه على ما ألَّفه المتأخِّرون مـن وقائع وقضايا تخصُّ ليلة عاشـوراء؛ لأنَّ «ليس لأكثرها سـند معتبر ولم نجد لجملة منها مسـتندًا»؛ لذا جاءت استشهاداته التاريخيَّة بالاعتماد على ما استخرجه من «الكتب المعتبرة» و«التواريخ المعتمدة»[٤].

ومن جملة التحليلات التي ركن إليها الشـيخ القزوينيّ، يمكن أن نؤشِّـر في هـذا المقام تلك التـي أوردها في تعليقه على وصيَّة الإمام الحسـين عليه السلام لأخيه محمَّـد بـن الحنفيَّة لـمَّا أراد الخروج مـن المدينة[٥]، التي جاء فـي بعض منها «بِسْـمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحيم، هَذا مَا أوصَى به الحُسـين بن علـيّ إلى أخِيه مُحمَّد بن الحَنَفيَّة، أنَّ الحسـين يشـهدُ أنْ لا إله إلّا الله وَحدَهُ لا شـريك له، وأنَّ محمَّدًا

(١) الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه: ٣/ ١٢٣.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه: ١/ ٢٨٣.

(٥) للاطلاع أكثر حول مبتنيات وصايا الإمام الحسين عليه السلام، ينظر: الإمام الحسين في سيرته ووصاياه: ٤١٧ - ٤٣٩.

عبدُه ورسولُه، جَاء بالحقِّ من عنده، وأنَّ الجنَّة حَقٌّ، والنَّار حَقٌّ، والسَّاعة آتيةٌ لا ريب فيها، وأنَّ الله يبعثُ من في القبور...»[1]، وبيَّن الشيخ القزوينيّ جملة من المظانِّ التي تضمَّنتها تلك الوصيَّة مقارنًا لما جاء في ديباجتها من إقرار بالتوحيد والرسالة والمبدأ والمعاد، مع كلمات أمِّه الزهراء عليها السلام؛ لأنَّها كَتَبت في وصيَّتها بعد وفاة أبيها شهادة أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ أبيها رسول الله، وأنَّ الجنَّة والنار حقٌّ، ملمِّحًا في الوقت نفسه إلى أنَّ تلك الشهادة أصبحت من لوازم وصايا المؤمنين فيما بعد يكتبونها في أكفانهم ووصاياهم لما فيها من البركة[2].

وكان الشيخ القزوينيّ كثيرًا ما يقارن بين الروايات المتعدِّدة ليركن إلى المعتبَر منها، وبنَفَس المؤرِّخ الواعي لمسألة التمييز بين مختلف الروايات، والأخذ بأقربها للحقيقة على اعتبار قوَّتها السنديَّة وأقدميَّتها الزمنيَّة، فعلى سبيل المثال أورد الشيخ القزوينيّ جملة من الروايات المتناقضة في تاريخ وصول الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء، يوم الثاني من المحرم الموافق يوم الخميس[3]، وهو ما أيَّده الشيخ القزوينيّ بقوله «جملة من الكتب المعتبَرة والمعتَمَدة»، على حين رفض وبشكل قاطع ما جاء في نصّ المطبوع من مقتل أبي مخنف الذي صرّح فيه أن قدومه عليه السلام لكربلاء كان يوم الأربعاء، مشيرًا إلى أنَّ «هذا الكتاب المنسوب لأبي مخنف لا يُعتَمد عليه خصوصًا فيما تفرَّد به من آراء»[4]، وهو ما يضعه الباحث في خانة الوعي التامّ لما كُتِب في الدراسات المتنوِّعة عن الموضوع نفسه، ومحاولة ترجيح ما يتقبَّله العقل

(١) الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه: ١/ ١٠٣.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: تاريخ الرسل والملوك: ٦/ ٣٧٠، والكامل في التاريخ: ٤/ ٤٦.

(٤) الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه: ١/ ٢١٨.

بعد تمحيص المطروح منها على الساحة الفكريَّة.

ابتعد الشيخ القزوينيّ عمّا يجرّ النصّ إلى صعوبات التراكيب اللغويَّة، فكان يذكر الاسم كاملًا، ثمَّ يتبعه بالكنية أحيانًا، ومن ثمَّ اللقب دائمًا، وفي غير مرَّة يذكر مجموعة ألقاب حسب ذكر الموارد الأساس التي استقى منها مادَّته التاريخيَّة، فعلى سبيل المثال يذكر ممَّن ترجم لهم «عباد بن المهاجر بن أبي المهاجر الجهنيّ»[١] ذاكرًا الكنية واللقب، و«عمرو بن جنادة بن كعب بن الحرث الأنصاريّ الخزرجيّ»[٢] موردًا أكثر من لقب، و«عمرو بن عبد الله بن كعب بن الصائد أبو ثمامة الصائديّ الهمدانيّ»، وهنا ذكر الكنية مع أكثر من لقب[٣].

وكانت الاستشهادات بأبيات من الشعر ميزة أخرى انماز بها أسلوب الشيخ القزوينيّ، ولاسيَّما عندما ناقش الروايات التاريخيَّة وحللها، فجاءت تلك الاستشهادات منسجمة مع ما كان يُطرَح من أفكار، فمنها ما استشهد به من أبيات عندما أراد بيان مظلوميَّة الإمام الحسين عليه السلام وإرجاع تلك المظلوميَّة إلى عصور خلت، في اللوح الذي وجده أهل نجران قبل بعثة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله بثلاثمائة عام تحت الأرض مدفونًا، مكتوبًا عليه[٤]:

أترجو أُمَّة قتلت حسينًا ... شفاعةَ جدِّه يومَ الحساب

فقد قدموا عليه بحكم جور ... فخالف حكمهم حكم الكتاب

ستلقى يا يزيد غدًا عذابًا ... من الرحمن يا لك من عذاب

(١) الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه: ٢/ ١٠٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

وكذلك الحال مع ما ذكره من أراجيز[١] إخوة الإمام الحسين عليه السلام وهم عازمون على الموت دونه، فهذا عمر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام برز للعدو يقول[٢]:

أضربكم ولا أرى فيكم زُحر ... ذاك الشّقيّ بالنبيّ قد كفر
يا زَحْرُ يا زَحْرُ تدانِ من عمر ... لعلَّك اليوم تبوَّأ بالسقر[٣]
شرّ مكان في حريق وسعر ... لأنَّك الجاحدُ يا شرَّ البشر

وشكّلت الآيات القرآنيَّة واحدة من نقاط القوَّة لديه في الإسناد الى المصادر الأمّ؛ إذ كانت له استشهادات غير قليلة عزَّزت من مصداقيَّة النصِّ المراد تحليله وإثبات مبتنياته التاريخيَّة، فمنها على سبيل المثال، وفي سياق الحديث عن خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكَّة الى كربلاء، اعترضه رسل عمرو بن سعيد بن العاص يمنعونه من المسير، فقالوا له انصرف أين تذهب، فأبى عليهم ومضى، فتدافع الطرفان فاضطربوا بالسياط، فامتنع الإمام عليه السلام عنهم امتناعًا قويًّا، ومضى الحسين عليه السلام، فنادوه: يا حسين ألا تتَّقي الله تخرج عن الجماعة وتفرّق بين هذه الأمَّة[٤]، فتلا الإمام عليه السلام قول الله عزّ وجلّ ﴿لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ * أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٥].

(١) جمع أرجوزة، والأرجوزة نسبة الى الرجز، وهو بحر من بحور الشعر العربي، ويسمَّى حمار الشعر لسهولة النظم فيه ووزنه: مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ. ينظر: علم العروض والقافية: ٧١.

(٢) الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه: ٢/ ٢٢٣.

(٣) (تبوَّأ) هكذا في المصدر، والصحيح (تبوء) لاستقامة الوزن.

(٤) الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه: ١/ ١٧٥.

(٥) سورة يونس: آية ٤١.

ولم يغفل الشيخ القزوينيّ اقتباسات العقيلة زينب عليها السلام التي ذكرتها جملة من المقاتل وجَّهتها إلى بني أُميَّة عندما قالت لهم: «ويحكم أما فيكم مسلم؟ فلم يجبها أحد بشيء»[١]، إذ يرى الشيخ القزوينيّ بأن كلامها عليها السلام مقتبس من كلام الله عزّ وجلّ في سورة مريم: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾[٢].

غير أنَّ الباحث أشَّر جملة من المؤاخذات على أسلوب الشيخ القزوينيّ، منها على سبيل المثال عدم تسميته الدقيقة لبعض المصادر التي اعتمدها في متن البحث، بل اكتفى بذكر عبارات وتعميمات غير واضحة للقارئ، من أمثال «وقد يظهر من بعض الكتب والمقاتل»[٣]، و«نقله جُلّ أصحاب السِّيَر»[٤] و«قال لسان المؤرِّخين»[٥]، وهي عبارات بتقدير الباحث المتواضع ذات ضبابيَّة لا يمكن اعتمادها في البحث العلميّ بسبب عدم وضوح شواهدها التاريخيَّة.

وعزَّز الشيخ فضل عليّ القزوينيّ كتابه بجوانب معرفيَّة أُخر شكَّلت سمة من سمات أسلوبه في الكتابة التاريخيَّة؛ إذ كانت له جملة من الوقفات العلميَّة التي يراها مفيدة للقارئ، فقد ذكر في هذا المجال على سبيل المثال ما تقوّت به نساء الإمام الحسين عليه السلام كمدًا على فاجعته، على لسان إحدى

(١) ينظر. الإرشاد: ٢/ ١١٢.

(٢) سورة مريم: آية ٨٨-٩١.

(٣) الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه: ١/ ٤٩.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه: ١/ ١٨٦.

جـواري زوجته رباب الكلبيَّـة عندما قالت: «إنّي لما أصابني الجهد شـربت شربة سـويق»، فأمرت زوجه عليها السلام بتوزيع الطعام والأسوقة على باقي النساء، وقالت: «إنّما نريد بذلك أن نتقوّى على الحسين» [١].

لتأتي إفاضات الشـيخ فضل عليّ القزويني هنا مشـتملة على ما للسـويق (العـدس في وقتنـا الحالـي)[٢] من فوائـد أكَّدت عليـه الروايـات العديدة، مستشـهدًا فـي هـذا المقـام برواية الرسـول الكريـم صلى الله عليه وآله؛ إذ يقـول: «عليكم بالعـدس، فإنَّـه مبارك مقدَّس يرقّ القلـب ويكثر الدمعـة...»[٣]، وغيرها من أحاديث المعصومين عليهم السلام، التي يختمها الشـيخ فضل علـيّ القزويني بما أكَّدهُ الأطباء في الوقت الحاضر من أهمِّيَّة العدس وفائدته لصحَّة الإنسان [٤].

ثالثًا: - موارد كتاب الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، وصف وتحليل.

لاشكَّ بأنَّ التصدِّي للتعريف بالعَلَم والترجمة به حاجة إلى مصادر كثيرة، يسـتطيع المترجِم أن يسـتقي معلوماته عنه منها، فالتاريخ بصفحاته الواسعة، اشـتمل على مصنفَّات كثيرة حفظت تراث أولئـك الأعلام؛ فهي تدلُّ عليهم وترشد إلى ذكرهم، وللتعريف بالعَلَم وسائل عديدة تُعين الباحث على ذلك، وانسـجامًا مع ذلـك فقد حرص الشـيخ القزوينـيّ على تنويع المـوارد التي اعتمدها في إسناد ماده كتابه.

---

(١) ينظر: الكافي: ١/ ٤٦٦.

(٢) بَيّـن الشـيخ القزوينـيّ هنـا أن المراد بـالسَّويقُ هو سـويق العدس. الإمام الحسـين وأصحابه: ٣/ ٤١.

(٣) ينظر. الكافي: ٦/ ٣٤٣.

(٤) ينظر: الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه: ٣/ ٤١.

وقد أدرك الشيخ القزوينيّ أهمِّيَّة تلك المصادر في الوقوف على أساس المادَّة التاريخيَّة المراد معالجتها؛ لذا نجده قد ركن إلى أمّاتها محلِّلًا ومقارنًا وموردًا ما اقتضاه النصّ التاريخيّ، فكان نسيجه مترابطًا متينًا بفضل توثيقاته المتنوّعة، وشكَّلت كُتُب التراث الإسلاميّ ثقلًا كبيرًا في مصادر كتاب (الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه)؛ إذ اعتمد الشيخ القزوينيّ على (٢٠٥) مصدرًا، كان اعتماده في الرجوع إليها بنسب متفاوتة، غير أنَّ أبرزها كان كتاب (مقتل أبي مخنف)، لأبي مخنف لوط بن يحيى الغامديّ؛ إذ كان مصدره المهمّ في ذكر أغلب ما جرى على الإمام عليه السلام من أحداث معركة الطفِّ في الجزء الأول من الكتاب.

بيد أنَّ ما يمكن ملاحظته بشكل واضح هو اعتماده بالدرجة الرئيسة على كتب الرجال أو الأصول الخمسة [١] المعتمدة عند الإماميَّة بشكل مطلق في الكتابة عن الرجال[٢].

وكان لكتب التاريخ الحوليَّة الثقل الأكبر بعد ما سبق من مصادر؛ إذ استمدَّ منها الشيخ القزوينيّ جلَّ مادَّته التاريخيَّة علاوةً على مصادر تاريخيَّة أُخر لم تخلُ من مقابلات شخصيَّة ابتغى الشيخ القزوينيّ أن يقف بها على جملة من الإشكالات الجدليَّة في الحدث المراد معالجته[٣].

(١) وهي رجال الكشّيَ ورجال الشيخ الطوسيّ وفهرسته ورجال النجاشيّ وخلاصة العلاَّمة الحلِّيّ. أبو القاسم الموسويّ الخوئيّ، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة: ١/ ٩٥.

(٢) الجرح والتعديل: وهو واحد من علوم الحديث الذي يبحث عن الرواة من ناحية ما ورد في شأنهم ممَّا يشينهم أو يزكّيهم بألفاظ مخصوصة. صبحي الصالح، علوم الحديث ومصطلحه: ١٠٩.

(٣) منها على سبيل المثال وفي سياق ترجمته لرقيّة بنت الإمام الحسين عليه السلام، ما نقله له أهل

الخاتمة

لعلّ ما تقدّم من الكلام عن نشأة علم التراجم وأهمِّيَّته، يدلِّل على عمق قيمته العلميَّة ومكانته الإنسانيَّة، وممَّا لا يخفى أن تلك المصنَّفات الخاصَّة به على ما اشتملته من ترجمات، قد احتوت على أبعاد فكريَّة وعقديَّة، فبين المناقب والفضائل جاءت لتعكس أنموذجًا آخر لثورة الإمام الحسين عليه السلام، ألا وهو رجالاتها الأفذاذ من أنصاره عليه السلام.

مثَّل كتاب «الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه» أنموذجًا لكتب التاريخ والتراجم الذي حرص فيه على الأمانة العلميَّة والدقَّة في الحصول على المعلومة من مظانِّها الأصليَّة فضلًا عن تعريفه بالمصادر ودقَّة اختيارها ونقده للروايات مع تعزيزها بالآراء المدعَّمة بمصادر ذكرها في سياق المتن للمقارنة والتعزيز.

وعلى الرغم من أنَّ الكتاب المذكور آنفا موسوعة تراجم وسِيَر إلَّا أنَّه لم ينهج فيه نهجًا سرديًّا فحسب، إنَّما طرح الروايات بطريقة علميَّة، مبيِّنًا وجهة نظره فيها برفضها أو قبولها ؛ مستندًا في ذلك إلى الدليل التاريخيّ والمنطق العلميّ، الذي لا نغالي إن قلنا بتفرُّده من ناحية طريقة المعالجة وما تضمَّنته من مقارنة وترجيح وغيرها ممَّا يتطلَّبه منهج البحث العلميّ.

الشام بروايات متواترة أباً عن جدٍّ حول السيول التي تعمّ بلاد الشام بين الحين والآخر، فخرب قبر السيِّدة رقيَّة عليها السلام، ولمَّا أرادوا تعميره فإذا بالطفلة كأنَّها ماتت من توِّها ، ولم يجرؤ أحد أن يُخرِج الطفلة من القبر، وكان في الشام سيِّد جليل شريف عالم جاء وأخذ الطفلة في حجره حتَّى سوَّوا القبر فدفنها. الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه: ٣/ ٤٩.

المصادر والمراجع:

أوّلًا: القرآن الكريم.

ثانيًا: الكتب:

١. الإرشاد إلى معرفة حجج الله على العباد، أبو عبد الله محمد بن محمد المفيد، (بيروت: مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، ٢٠٠٨).

٢. أصول البحث، عبد الهادي الفضليّ، (قم: مطبعة ستار، ٢٠٠٧م).

٣. أعلام من كربلاء، أحمد الحائريّ، ، (بيروت: مؤسّسة البلاغ للطباعة والنشر، ٢٠١٣م).

٤. أعيان الشيعة، محسن الأمين، ط٥، (بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ٢٠١٤م).

٥. الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، فضل عليّ القزوينيّ، تحقيق: أحمد الحسينيّ، (كربلاء: مجمع الإمام الحسين عليه السلام لتحقيق التراث، ٢٠١٥م).

٦. أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذريّ، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركليّ، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٦).

٧. تاريخ الرسل والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبريّ، ، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٤).

٨. التاريخ فكرة ومنهجًا، عبد الله فياض، ط٢، (بغداد: مطبعة أسعد،١٩٧٧م).

٩. تراجم الرجال، أحمد الحسينيّ، (قم: منشورات مكتبة آية الله المرعشيّ ١٤١٤هـ).

١٠. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد الدمشقيّ، (بيروت: دار ابن كثير، ١٩٨٦م).

١١. الشيعة والحاكمون، محمد جواد مغنية، تحقيق سامي الغريريّ، (بيروت: منشورات الرضا، ٢٠١٢ م).

١٢. طرق البحث العلميّ في التاريخ والآثار، طه باقر وعبد العزيز حميد، (الموصل: مديريَّة دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٠م).

١٣. علم العروض والقافية، عبد العزيز عتيق، (بيروت: دار النهضة العربيَّة، ١٩٨٧م).

١٤. علماء كربلاء في ألف عام، سلمان هادي آل طعمة، (قم: مجمع الذخائر الاسلاميَّة، ٢٠١٥ م).

١٥. علوم الحديث ومصطلحه، صبحي الصالح، (قم: مطبعة أمير، ١٩٩٧م).

١٦. فاجعة الطفِّ، محمد سعيد الحكيم، ط٣، (د.ك: دار الهلال، ٢٠١٠م).

١٧. قاموس الرجال، محمد تقيّ التستريّ، ط٤، (قم: مؤسسة النشر الإسلاميّ، ١٤٣٥هـ).

١٨. الكافي، محمد بن يعقوب الكلينيّ، (بيروت: منشورات الفجر، ٢٠٠٧م).

١٩. الكامل في التاريخ، عليّ بن محمد ابن الأثير، (بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، ١٩٦٥ م).

٢٠. كلمة في تعليل التاريخ، عمر فروخ، ط٣، (الكويت: مطبعة الرسالة، ١٩٨٩م).

٢١. لسان العرب، محمد بن مكرم بن عليّ بن منظور، (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).

٢٢. اللهوف في قتلى الطفوف، عليّ بن موسى بن طاووس، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٩٣م).

٢٣. مستدركات أعيان الشيعة، حسن الأمين، (بيروت: دار التعارف، ١٩٩٣م).

٢٤. معجم النقد العربيّ القديم، أحمد مطلوب، (بغداد: دار الشؤون الثقافيَّة العامة، ١٩٨٩م).

٢٥. معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، أبو القاسم الموسويّ الخوئيّ، ط٥، (قم: مركز نشر الثقافة الإسلاميَّة،١٩٩٢).

٢٦. منهجيَّة البحث العلميّ، مهديّ حسين التميميّ، (بغداد: إصدارات جامعة الإمام الصادق عليه السلام، (٢٠٠٦).

ثالثا: الصحف والمجلات:

١. الإمام الحسين عليه السلام في سيرته ووصاياه، محمد بشير حسن وعبد الرحمن إبراهيم، مجلة القادسيَّة للعلوم الإنسانيَّة / العدد الأوَّل/ ٢٠١٥م.

المقدّسُ الأردبيليُّ ومنهجُهُ العلميُّ في حاشيةِ التجريدِ

Al-Muqaddas al-Ardabili and His Scholarly Methodology in the Hashiyat al-Tajrid

الشيخ محمَّد العبساويّ

العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة/ مركز الشيخ الطوسيّ للدراسات والتحقيق

Shaykh Muhammad al-‘Absawi

Al Abbas Holy Shrine, Al Tusi Center for Investigation and Studies

الملخّص

يُولَد الإنسان وهو مفطور على التفكير والبحث والتحقيق، وقد جاء الكتاب العزيز مؤكّدًا، ومرشدًا للإنسان في التفكير في المبادئ، قال تعالى ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾(الزخرف: ٨٧).

وهذا ما أشارت إليه النصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، ويُعَدُّ القرآنُ الكريم المصدرَ الأوّل لعلم الكلام، وقد بذلَ علماؤنا الأعلام جهدَهم المتواصل في حفظ هذا الدِّين وإيصاله إلينا.

ومن هذا المنطلق قمتُ بتقديم محاولةٍ لقراءةِ المنهج الاستدلاليّ الذي استعمله المقدّس الأردبيليّ؛ إذ كتب حاشية على ما كتبه القوشجيّ من شرحٍ على كتاب التجريدِ للمحقّقِ نصير الدِّين الطوسيّ، وحاول القوشجيّ الردّ على ما جاء به المحقِّقُ الطوسيّ في بعض البحوث، وخاصّة في بحث الإمامة، ولمّا اطَّلَع المقدّسُ على هذا الشرح، وقام بتدريسه، رأى فيه إجحافًا من القوشجيّ لما ساقه المحقّقُ نصير الدِّين الطوسيّ فأخذ بالردّ عليه، والمناقشة لما جاء به، وقمت بتتبُّع منهج المقدّس الأردبيليّ قدر المستطاع، فرأيته باحثًا محقّقًا عالمًا كثير الاطِّلاع دقيق النظر؛ قام بالردّ على ما ذكره القوشجيّ بأدلّة ترجع في أصولها للبديهيّات وأزاح الستار عمّا ذكره من الشبهات، ووقع البحث في مقدِّمة، وخمسة مباحث، وخاتمة.

الكلمات المفتاحيّة: المنهج العقليّ، المنهج النقليّ، المنهج التكامليّ، المقدّس الأردبيليّ، حاشية التجريد.

Abstract

Man is born with an innate nature inclined toward thought, inquiry, and investigation. The Noble Book confirmed and guided man toward thinking about the fundamentals, as the Almighty said: “And if you ask them who created them, they will surely say, "Allah." So how are they deluded?” (Az-Zukhruf: 87).

This is also indicated by the transmitted texts from Ahl al-Bayt (peace be upon them). The Noble Qur’an is considered the primary source of the science of theology (‘ilm al-kalam), and our esteemed scholars have exerted continuous efforts in preserving this religion and conveying it to us.

From this standpoint, I have presented an attempt to examine the inferential method used by al-Muqaddas al-Ardabili, who wrote a marginal commentary (hashiyah) on the explanation (sharh) of Tajrid al-‘Aqa’id by al-Qushji. Al-Qushji attempted to refute some of what was presented by the scholar Nasir al-Din al-Tusi, especially in the discussion of Imamate. When al-Muqaddas examined this commentary and taught it, he found in it unfairness from al-Qushji regarding the arguments of al-Tusi, and thus he undertook to refute and discuss what was presented.

I traced the methodology of al-Muqaddas al-Ardabili to the best of my ability and found him to be a diligent, investigative scholar, deeply knowledgeable and precise in his reasoning. He refuted al-Qushji’s points with arguments rooted in self-evident truths and unveiled the ambiguities he raised.

The research is structured into an introduction, five sections, and a conclusion.

Keywords: Rational methodology, transmitted methodology, integrative methodology, al-Muqaddas al-Ardabili, Hashiyat al-Tajrid.

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

ممَّا لا شكَّ فيه أنّ علم الكلام يُعَدُّ من أشرف العلوم، ومن أمّهاته، وذلك باعتبار موضوعه، وما يُبحَث فيه من المسائل كتوحيد الله(تعالى) وصفاته الثبوتيَّة، والجماليَّة، والجلاليَّة، والنبوَّة، والمعاد، والعدل، وسائر المسائل التي تتعلَّق بعقيدة الإنسان، وما لابدَّ منه أن يؤمن بها عن طريق اليقين والبرهان ولا يجوز التقليد فيها.

وقد صُرِفَت فيه جهودُ العلماء، وأُلِّفَت فيه الكتبُ والرسائل؛ نظرا لأهمِّيَّة موضوعه وعظمته.

وكان في مقدِّمتهم الخواجة نصير الدِّين الطوسيّ؛ إذ ألّف كتابَ تجريد الاعتقاد وهو كتابٌ علميٌّ دقيقٌ متقنٌ، «عليه حواشٍ لا تُحصى، وشروح كثيرة، فأوّل الشروح شرح تلميذ المصنِّف آية الله العلَّامة الحلِّيّ المتوفَّى سنة ٧٢٦هـ»[(١)]، ومن الشروح التي كُتِبَت عليه(الشرح الجديد للقوشجيّ) وعليه حاشية المقدّس الأردبيليّ التي حاولتُ جاهدًا بيان منهجه فيها، وبيان ميزاتها.

أسباب اختيار الموضوع:

كان شغفي الدائم والمتواصل، هو معرفة منهج العلماء في دراستهم، وطريقة استعمال الأدلَّة في الاستدلال على المطالب النقليّة والعقليّة إلى أن دارت الأيّام، ونشرت العتبة العباسيّة المقدّسة إعلانًا عن مؤتمرها الثاني

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة:٣/ ٣٥٣.

تحت عنوان(تراثنا هُويّتنا)، فاخترتُ أن أكتب عن الإمامة في كتابه (زبدة البيان)، ثمَّ رأيت أن المقدّس قد كَتب آراءه الكلاميّة في أكثر من كتاب، ومنها ما كتبه في(حاشية التجريد) الذي كتبه على الشرح الجديد للعلَّامة القوشجيّ، فغيّرت رأيي، وبدأت بالبحث عن منهج المقدّس الأردبيليّ، وما قام به من استدلال على المطالب، ومناقشة لها، والبحث عن المنهج يعطيك ضابطة كلِّيّة للتعرّف إلى طريقة العلماء في التعامل مع المطالب، ومعالجة الإشكالات التي ترد عليهم.

فرضيّات البحث:

قَدّم البحث جملة من التساؤلات والملاحظات لتكون مدار البحث لإجابتها والوصول إلى نتيجة منها، وهي:

١. لماذا كَتب المقدّس الأردبيليّ ردًّا على القوشجيّ ؟

٢. ما منهجيّة المقدّس الأردبيليّ في حاشيته على التجريد؟

٣. ما تطبيقات المنهج العقليّ عند المقدّس الأردبيليّ ؟

٤. ما تطبيقات المنهج النقليّ عند المقدّس الأردبيليّ؟

٥. ما سمات أسلوب الإقناع في المنهج العقليّ عند المقدّس؟

هذه جملة من الأسئلة المحوريّة التي حاولنا إجابتها قدر المستطاع. والله المعين.

أهميّة البحث:

تتبيّن أهميّة البحث من أهمِّيّة موضوعه، وموضوع البحث الذي يدور حوله

هو معرفة منهج البحث الذي خاضه المقدّس الأردبيليّ في الدفاع عن(مباحث الإمامة التي نقض فيها كلام المحقِّق الطوسيّ) وإثباتها بطريقة عقليّة رصينة مقنعة ومؤثِّرة في الآخرين من دون تعصّب، وتغييب للحقيقة، فالبحث عن منهج المقدّس الأردبيليّ هو بحثٌ للحصول على قاعدة كليّة؛ لاستعمالها في الاستدلال على أصول الدِّين ودفع الإشكالات التي تردُ عليها.

مخطط البحث:

وقع البحثُ في خمسة مباحث وخاتمة، للخروج بنتيجة مقبولة في المطالب التي درستها.

المبحث الأوّل: الأعلام الثلاثة، وقد تضمن الحديث عن:

١- المحقّق نصير الدِّين الطوسيّ.

٢- الفاضل القوشجيّ.

٣- المقدّس الأردبيليّ.

والمبحث الثاني: الذي تضمَّن الحديث عن المنهج العقليّ عند المقدّس الأردبيليّ في حاشيته على التجريد.

والمبحث الثالث: الذي تضمَّن الحديث عن المنهج النقليّ عند المقدّس الأردبيليّ.

والمبحث الرابع: الذي تضمَّن الحديث عن المنهج التكامليّ عند المقدّس الأردبيليّ.

المبحث الخامس: الذي تضمَّن الحديث عن استخدام المنهج العقليّ والنقليّ في التأثير والإقناع عند المقدّس الأردبيليّ.

المبحث الأوّل: الأعلام الثلاثة (المحقّق الطوسي، العلّامة القوشجيّ، المقدّس الأردبيلي)

نُوجزُ فيه عن حياة كلٍّ منهم على وفق الآتي:

أوّلًا: المحقّق نصير الدِّين الطُّوسيّ(٥٩٧-٦٧٢هـ):

هو صاحب كتاب تجريد الاعتقاد، العالم الأكمل سلطان العلماء وتاج الحكماء، وأبرع المتكلّمين الذي أخذ منه كلّ من تأخّر عنه، واعترف بفضله القاصي والداني انتهج منهج التّدقيق، والتّحقيق، والتّمحيص باحثًا عن الحقيقة، وطالبًا للدّليل، قالَ تلميذه العلّامة الحلّيّ(٦٤٨-٧٢٦هـ) فيه:

«والآن حيث وفّقنا الله تعالى للاستفادة من مولانا الأفضلِ العالمِ الأكملِ نصير الملّة والحقّ والدِّين محمّد بن محمّد بن الحسن الطوسيّ قدّس الله تعالى روحه الزّكيّة في العلوم الإلهيّة والمعارف العقليّة، ووجدناه راكبًا نهجَ التَّحقيقِ سالكًا جدد التدقيق، مُعرضًا عن سبيل المغالبة، تاركًا طريق المغالطة، وتتبّعنا مطارح أقدامه في نقضه وإبرامه، ولمّا عرج إلى جوار الرّحمن ونزل بساحة الرّضوان، وجدنا كتابه الموسوم بـ(تجريد الاعتقاد) قد بلغ فيه أقصى المراد، وجمع جلَّ مسائل الكلام على أبلغ نظام، كما ذكر في خطبته وأشار في ديباجته، إلّا أنّه أوجز ألفاظه في الغاية، وبلغ في إيراد المعاني إلى طرف النِّهاية، حتّى كَلَّ عن إدراكه المحصّلون، وعجزَ عن فهمِ معانيه الطالبون، فوضعنا هذا الكتاب...»[1].

(١) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد:٢٤.

يُعـدُّ كتابُ(تجريد الـكلام في تحرير عقائد الإسـلام) من أشـهر الكُتب الكلاميّـة، ولم يزل منذ تأليفه إلـى الآن مدارًا للمفكّرين وكبـار المتكلّمين؛ إذ تناولوه بالشـرح والتعليق عبر القـرون الثمانية المنصرمة، وهو مع وجازته وصغـر حجمه إلّا أنّه اشـتمل على أهمّ مسـائل علم الـكلام، وهو في ثلاثة محاور:

الأوّل:(الإلهيّـات بالمعنى الأعمّ) التي يُبحث فيهـا عن الوجود، والعدم، وأحـكام الماهيّـات، والقـدم والحـدوث، والعلّـة والمعلـول، وغيرها من المسائل التي تبحث عن أحكام الوجود بما هو هو[١].

الثاني:(الطبيعيّـات) وهي الجواهر والأعراض، ويُبحث فيه عن الأقسـام الفلكيّة، والعنصريّة، والأعراض التّسعة على وجه التّفصيل[٢].

الثالث:(الإلهيّـات بالمعنى الأخصّ)، وهو ما يُبحث فيه عن أصول الدِّين الخمسة[٣].

مميّزات كتاب تجريد الاعتقاد

١. يُعَدُّ من أعمق الكتب الكلاميّة وأمتنها[٤].

٢. وتمكّن-إلـى حـدّ ما-مـن نقل الـكلام من أسـلوب الحكمـة الجدليّة، والاقتراب به من أسلوب الحكمة البرهانيّة[٥].

---

(١) ينظر: كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد:١٠٣-١٤١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٤١-١٨٧.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٨٧-٣١٠.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٣.

(٥) دراسة تعريفيّة بالعلوم الإسلاميّة: ٢/ ٦٨.

٣. يتميّز بالاختصار، والسبك، والدقّة في العبارة لإيصال المعاني المرادة.

٤. تميّـز بمنهجيّة مغايرة للمتقدّمين؛ إذ أخّر مبحث المعاد عن مبحث النبوّة، خلافًـا للمتقدّمين الذين يقدّمون بحث(المعـاد) عليها؛ لذا ارتبط الوعد والوعيد والثواب والعقاب بصفات الله تعالى[١].

٥. بسّط الكلام في بحث الإمامة، وأقام الأدلّة على كلّ مطلب يذكره، وتعرّض لإثبـات إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، ثمّ جاء بأدلّة قطعيّة على أفضليّة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وبعد ذلك يبحث عن النصّ على إمامة الأئمّة الاثني عشر وحكم محاربتهم، وهذا البحث وقع مثارًا للنقض والإبرام والأخذ والردّ بين مخالف لكلامه وموافق له.

ثانيًا: الفاضل القوشجيّ:

الشّـيخ علاء الدِّين علـيّ بن محمّد(المتوفّى ٨٧٩هـ) مـن فقهاء الحنفيّة، وذكـره خير الدِّين الزركلـيّ بقوله:«عليّ بن محمّد القوشـجيّ، علاء الدِّين: فلكـيّ رياضـيّ، من فقهـاء الحنفيّـة، أصله مـن سـمرقند...وكان مجدًّا في تحصيل العلوم، وقد حصّل في حداثة سنّه غالب العلوم، وكان يكتب بالعربيّة والفارسيّة»[٢].

ومن أهمِّ مؤلَّفات القوشـجيّ، شـرحه علـى التجريد، فقـد تعرّض لآراء المحقّق الطوسـيّ، ووافقـه في الأغلب وخالفه في بحـث الإمامة، وتصدّى للجواب عن كلّ ما اسـتدلّ به على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، وردّ ما نقل من

(١) الحاشية على إلهيّات الشرح الجديد للتجريد: ٢٧.

(٢) الأعلام: ٥/ ٩.

المطاعن على الخلفاء الثلاثة، وزعم أنّه أجاب عنها وردّها، نعم قد أجاب عنها، ولكن الأجوبة التي ذكرها أجوبة هزيلة لا تصمد أمام المناقشة.

ثالثًا: المقدّس الأردبيليّ:

هو أحمد بن محمَّد الأردبيليّ(٩٩٣هـ)، يُعدّ من فقهاء الشّيعة في القرن العاشر الهجري، كان من المبرَّزين في العلوم العقليَّة والنقليَّة، وازدهرت الحوزة العلميَّة في زمن رئاسته[١].

الميزات الأخلاقيَّة

اشتهر العلّامة بالمقدَّس الأردبيليّ[٢] ونُقِلَت كرامات عنه[٣]، وكان يتواضع كثيرًا أمام تلامذته، الذين نقلوا عنه قصصًا تحكي تواضعه البالغ، ومساعدته الفقراء والمستضعفين[٤].

كان يحترمه كثيرٌ من العلماء والفقهاء؛ منهم: السيِّد مصطفى التّفرشيّ، والشَّيخ الحرّ العامليّ، والعلَّامة المجلسيّ والشَّيخ عبَّاس القمِّيّ، الذين وقّروه بعناوين وألقاب متعدِّدة، وذكره بالعظمة والجلالة كلٌّ من صاحب الجواهر والمحدِّث البحرانيّ في الحدائق النَّاضرة وصاحب مستند الشّيعة[٥].

وعاش المقدَّس الأردبيليّ مدَّة من الزمن في كربلاء المقدَّسة، ودرس

---

(١) ينظر: رياض العلماء:١/ ٩٠.

(٢) ينظر: ريحانة الأدب: ٥/ ٣٦٧.

(٣) ينظر: بحار الأنوار: ٥٢/ ١٧٤.

(٤) ينظر: الأنوار النّعمانية: ٣/ ٤٠، ريحانة الأدب: ٥/ ٣٦٨.

(٥) ينظر: الفوائد الرضوية: ٢٣.

فيها وألَّف فيها كثيرًا من التصانيف الغزيرة، ذكرها جملةٌ من الأعلام والمترجمين، إلَّا أنَّ بعضهم أنكر ذلك، وهذا لا يصمدُ بعد ما كتبه المقدّس الأردبيليّ بخطه في بداية كتابه مجمع الفائدة.

إذ قال: شرعت في تأليفها في كربلاء سنة ٩٧٧هـ، وأنهيتها في النجف سنة ٩٨٥هـ.

وكذلك تأليفه رسالته(التهليليَّة)، وألَّفها يوم الخميس بعد صلاة المغرب، وهي في ثلاث صفحات، الراجح أنَّها في إحدى زياراته لحرم الإمام الحسين عليه السلام.

وما ذكره الميرزا الأفنديّ، نقلًا عن تاريخ عالم آرا في المجلَّد الأخير منه المكتوبة باللغة الفارسيَّة ما معناه:(أنَّ المولى عبد الله التستريّ الأصفهانيّ(ت: ١٠٢١هـ)، قد سكن في مشهد عليّ والحسين عليهما السلام قريبًا من ثلاثين سنة في خدمة المولى المجتهد المغفور مولانا أحمد الأردبيليّ رحمه الله وكان يستفيد من خدمته العلوم والفضائل والمسائل)[1]، هذا يوافق ما ذكره المجلسيّ، وإن ذكر صاحب الرياض أنَّ موضوع إقامته محلّ تأمُّل.

ما ينقله عنه جملة من المترجمين من أنّه سافر مرات متعدِّدة إلى كربلاء لزيارة مرقد الإمام الحسين عليه السلام، وأنّه كان يجمع في صلاته بين القصر والتمام.

فيتَّضح جليًّا عند تصفّح يسير لما تضمّنه من تحقيق وتدقيق، وأصبح مضرب الأمثال في الورع والتقى والعبادة، الذي رُفِعَ به إلى مصافِّ الأعلام الورعين الذين تشحّ بأمثالهم أرحام الأمّهات؛ ولعلّ في بعض ما روته كتب

(١) ينظر: رياض العلماء: ٣/ ٢٠٣.

التراجم من قضاياه النادرة إلقاء لبعض الضوء على شخصيّته النادرة المثلى، ففي الأنوار النعمانيّة للسيّد نعمة الله الجزائريّ قال:

«إنّه رحمه الله كان في عام الغلاء يقاسم الفقراء ما عنده من الأطعمة، ويُبقي لنفسه مثل سهم واحد منهم، وقد اتّفق أنّه فعل في بعض السنين الغالية ذلك، فغضبت عليه زوجته، وقالت: تركت أولادنا في مثل هذه السنة يتكفّفون الناس، فتركها ومضى عنها إلى مسجد الكوفة للاعتكاف، فلمّا كان اليوم الثاني جاء رجل مع دواب حملها الطعام الطيّب من الحنطة الصافية والطحين الجيد الناعم، فقال: هذا بعثه إليكم صاحب المنزل، وهو معتكف في مسجد الكوفة، فلمّا جاء المولى من الاعتكاف أخبرته زوجته بأنّ الطعام الذي بعثه مع الأعرابيّ طعام حسن، فحمد الله تعالى، وما كان له خبر منه»[1].

سبب التأليف:

كان المحقّق الأردبيليّ يدرّس كتاب(شرح تجريد العقائد) للفاضل القوشجيّ لبعض الطلاب ويُلاحظ آراءه، ويكتب عليها آراء توضيحيّة أو اعتراضيّة، ثمّ جمعها وجعلها كتابًا باسم ولده أبي الصلاح تقيّ الدِّين محمّد، وقد فرغ منه في الثالث عشر من شهر ربيع الأوّل سنة تسع وثمانين وتسعمائة، وأشار إلى ذلك في آخر كتاب حاشيته على التجريد[2].

ما تفرّد به المقدّس الأردبيليّ:

الأوّل: جواز إعادة المعدوم، كما صرَّح به في بحث المعاد، قال:«واعلم

(١) الأنوار النعمانية: ٢/ ٣٠٢.

(٢) ينظر: الحاشية على إلهيَّات الشرح الجديد للتجريد: ٣٤.

أنَّ ما قاله المصنّف مشكل، وأدلّة امتناعها مدخولة، وقد تقدّم البحث فيه فتذكّر؛ لأنّ ظاهر الكتاب والسُّنّة، بل الإجماع أيضًا يدلّ على انعدام كلّ شيء بالمرّة، وإعادة المعدوم...»[١].

الثاني: تبنّى المقدّس صحّة ما ورد من خطب ورسائل ومواعظ في كتاب نهج البلاغة، وأنّها قطعيّة، وقد ذكر ذلك في أوّل مبحث القضاء والقدر[٢].

الثالث: تكثير الأدلّة والأجوبة، فقد يُستَشكل على المحقّق الدوانيّ أو الفاضل القوشجيّ باثني عشر إشكالًا، وأشكل على الدوانيّ في بحث المريد باثني عشر إشكالًا[٣].

الرابع: يأتي بقوله:(فتأمّل) في كثير من المباحث على النحو المعهود في المحاورات العلميّة في شتّى الفنون، ويُمكن أن تلاحظ ذلك في مباحثه بشكل واضح وجليٍّ[٤].

الخامس: يكرّر نصيحته بالاحتراز عن التقليد والعصبيّة، ويمدح استقلال الرأي والنظر[٥].

السادس: بعض حواشيه تكون اعتراضًا على المحقّق الطوسيّ نفسه، فيتّبع الإنصاف وحسن القول، والمنهج الموضوعيّ غير المنحاز.

السابع: قد يستشهد ببعض الفتاوى الفقهيّة مثل قبول شهادة الفاسق بمجرد التوبة.

---

(١) الحاشية على إلهيّات الشرح الجديد للتجريد:٤٦٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٥٦.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٧١.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٦٥، ٨٧، ٩٨، ١٦٥، ١٧٣، ٢٧٢، ٤١٤، ٤٩٢.

(٥) ينظر: المصدر نفسه:١٠٩، ٢٥٧، ٢٦٧، ٣٤٤.

المبحث الثاني: المنهج العقليّ عند المقدّس الأردبيليّ في حاشيته على التجريد

لاشكّ في أنّ المقدّس الأردبيليّ كان يتمتّع بقوّة حفظ وذكاء، فتراه محيطًا بآيات القرآن الكريم والروايات إحاطة تامّة تمكّنه من ردّ الخصم وإفحامه في مناقشاته، فتراه مطّلعًا على كتب القوم، وحافظًا لآرائهم، وفاهمًا لها، والتزم المحقّق بالتبويب على ما جاء به المحقّق الطوسيّ، فابتدأ بإثبات الصانع وصفاته، ثمّ بحث النبوّة وبعدها الإمامة ثمَّ العدل والمعاد.

ولأجل أن نطّلع على منهج المقدَّس الأردبيليّ نذكر شيئًا عن معنى المنهج وأنواعه.

أوّلًا: تعريف المنهج

عُرّف المنهج علميًّا بأكثر من تعريف، منها:

١ - عرّفه النشار بأنَّه«طريق البحث عن الحقيقة في أيّ علم من العلوم أو في أي نطاق من نطاقات المعرفة الإنسانيّة»[(١)].

٢- وأشهر تعريف للمنهج هو التعريف القائل: بأنّه «الطريق المؤدّي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامّة تهيمن على سير العقل وتحدّد عمليّاته حتّى يصل إلى نتيجة معلومة»[(٢)].

استعمل المقدّس الأردبيليّ المنهجَيْن العقليّ والنقليّ، والمنهج التكامليّ

(١) نشأة الفكر الفلسفيّ في الإسلام: ١/ ٣.

(٢) مناهج البحث العلميّ: ٥.

أيضا الذي جمع فيه بين المنهج العقليّ والنقليّ، وسنقوم باستعراض المناهج لنرى كيف استعملها المقدّس الأردبيليّ في استدلالاته ومناقشاته.

وقبل البدء بالتعرّض لتفاصيل هذا المبحث، لا بأس بالتعرّف على المقصود بالمنهج العقليّ، فقد عُرّف بتعريفات كثيرة، نقتصر على بعض منها:

وهو: أنّ المنهج العقليّ: «طريقة دراسة الأفكار والمبادئ العقليّة، ويقوم على قواعد علم المنطق الأرسطيّ، فيلتزم الحدود والرسوم في التعريف، والقياس والاستقراء في الاستدلال»[1].

ومن روّاد هذا المنهج المبرزين هم الفيلسوف والمعلّم الأوّل أرسطو، والمعلّم الثاني أبو نصر الفارابيّ، وشيخ فلاسفة الإسلام ورئيسهم الحكيم الإلهيّ والفيلسوف المشّائيّ صدر الأطبّاء، وأستاذ المناطقة أبو عليّ الحسين بن عبد الله بن الحسن بن عليّ بن سينا، والمحقّق نصير الدِّين الطوسيّ[2]، والمعلّم الثالث السيّد الداماد، وقبل أن نُبيّن هذا المنهج ومميّزاته نُبيّن فلسفة هذا المنهج.

فنقول: السَّالك في طلب المعرفة إذا أراد أن يبني بنيانه على أساس متين رصين لابدّ له من أن ينطلق من النقطة الأساس والجذر الأوّلي، وبدايته الصحيحة تكون من نقطَتيْن:

الأولى: إثبات أصل الواقع الخارجيّ بنحو مجمل.

(١) أصول البحث: ٥٣.

(٢) ينظر: أصول المعرفة والمنهج العقلي: ١٦٢.

الثانية: إثبات إمكان العلم التفصيليّ بهذا الواقع الموجود[١].

ولتطبيق هاتَيْن الخطوتَيْن لابدّ له من أن يعتمد بعض المعارف الذاتيّة المعلومة بنفسها التي لا يحتاج العلم بها إلى الغير، بل هي حاضرة عنده واضحة كاملة الوضوح، فلا يجد العقل إلّا التسليم بها والاعتماد عليها، وهي التي ترجع العلوم النظريَّة إليها، كما قال ابن سينا: (التعليم الذهني ما هو إلَّا معرفة بالوجود)[٢].

وهذه المعارف عامّة مشتركة بين الجميع، وليس خاصّة بفرد من دون آخر، وهذه القضايا هي معارف قلبيّة فطريّة مغروسة في فطرة الإنسان، وليس بها حاجة إلى التجربة ولا إلى الاستدلال عليها، وهي أربعة مبادئ[٣]:

المبدأ الأوّل: الهُويَّة:

وقد يعبَّر عنها بالذاتيّة؛ بمعنى أنَّ كلّ شيء هو هو، وما ليس هو فليس هو[٤]، وهذا المبدأ - الذي نتداوله في مقام الاستدلال والنقد والمناقشة - يعتمد ركنين:

أ. الركن الأوّل: أنّ لكلّ شيء تقرّرًا ثابتًا؛ إذ لو لم يكن للشيء معنى ثابت لم يكن معنى لقولنا: «كل شيء هو».

ب. الركن الثاني: أنَّ هذا الشيء الذي له معنى ثابت لو وُجِد فإنَّ الذي يوجد

---

(١) ينظر: أصول المعرفة والمنهج العقلي:١٦٢.

(٢) برهان الشفا، شرح مصباح اليزديّ:٧٤.

(٣) ينظر: برهان الشفا، شرح مصباح اليزديّ:٧٤، والمعجم الفلسفيّ:٢/ ١٨١.

(٤) ينظر: المعجم الشامل للمصطلحات العلميّة والدينيّة:٢/ ٧٠٧- ٧٠٨.

هــو وليس غيره، فهو في وجوده لا يلتبس بغيره، فالإنســان مثلًا له معنى ثابت، وإذا وُجِد فيوجد بمعناه نفسه ولا يختلط بغيره.

جاء في المعجم الفلسفي:«الهُويَّة(مبدأ)

في الفرنسيَّة/ Identite(Principe d)

في الإنكليزيَّة/ (Identity)Law of

مبدأ الهُويَّة هــو القــول: مــا هــو هــو، و يعبَّر عنــه بالجملــة: ب ب او(ب) هي(ب). و هو لا يصدق على المســاواة الرياضيَّة فحســب، بل يصدق على كلِّ علاقة منطقيَّة يُعبَّر عنها بالجملة: بU ب.

ومبدأ الهُويَّة هــو المثل الأعلى للحكم التحليلــيّ؛ لأنّ المحمول في هذا الحكم ليس جزءًا من مفهوم الموضوع و إنّما هو عين الموضوع نفسه»[١].

المبدأ الثاني: مبدأ الوسط الممنوع.

وهو ما درسناه في علم المنطق، وما يُطلَق عليه بمبدأ عدم التناقض[٢]؛ أي إنّ النقيضَيْن لا يجتمعان، فلا يمكن أن يكون الشيء موجودًا ومعدومًا في آنٍ واحد مع اكتمال بقيَّة الشروط للمنع.

وهناك خلاف بين المناطقة في أنَّ المبدأ الأوّل هل هو الهُويّة ويتفرّع عليه مبدأ عدم التناقض، أم العكس؟ إذ هناك من يقول بأنَّ المبدأ الأوّل الأســاس لكلّ المبادئ هو مبدأ الهُويّة[٣]، فلو لــم نؤمن بأنّ الشيء هو هو لما آمنّا بأنّ ما

(١) المعجم الفلسفي:٢/ ٥٣٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه:٢/ ١٨١.

(٣) ينظر: المصدر نفسه:٢/ ٣١٦.

كان هـو لا يمكن أن يكون ليس هو، وهذا يعني أنَّ مبدأ عدم التناقض - وهو أنَّ الشـيء لا يمكن أن يكون هو وليس هو - فرع أن يكون للشـيء هُويّة في حدّ ذاته.

ولكـن هناك مـن يرى أنَّ مبدأ عدم التناقض سـابق على مبـدأ الهُويّة، فلا يمكن أن نقرّر بأنّ «كلّ شيء هو هو، وما ليس هو فليس هو» إلّا إذا آمنّا مسبقًا بأنّه لا يمكن أن يجتمع النقيضان.

المبدأ الثالث: الثالث المرفوع:

وهو مبدأ ارتفاع الوجود والعدم[١] عن صفحة الواقع؛ أي: خلو الواقع من الوجود والعدم وهذا مستحيل، فلا يمكن أن تخلو صفحة الواقع من الوجود والعدم، فليس هنالك ثالثٌ لهما، ولذلك يعبَّر عنه بمبدأ الثالث المرفوع[٢].

وهذا المبدأ متفرّع على مبدأ استحالة اجتماع النقيضَيْن؛ لأنّه لو ارتفع اللاوجود والوجود لاجتمع النقيضان، فلا يمكن أن يخلو الواقع من الوجود والعدم.

المبدأ الرابع: مبدأ السببيَّة:

وهو أنَّ لكلّ مسبَّب سببًا[٣].

قال صاحـب المعجم: «المبادئ العقليّة هي المبـادي التي تنظّم المعرفة، وتنسِّـق أفعال العقـل في بحثه عن الحقيقـة»، ثمَّ قال: «إنّ هـذه المبادئ هي الأسـاس الذي يضمن الارتبـاط المنطقيّ بين حدود البرهـان، حتَّى لقد قال

(١) في التعبير مسامحة، وذلك تمشِّيًا مع عبائر القوم.

(٢) ينظر: الشفاء (المنطق): ٣/ ٣٥٦، والمعجم الفلسفي: ١/ ٣٧٣.

(٣) ينظر: المعجم الفسفي: ٢/ ٣١٦.

ليبنيز: إنّها ضروريَّة له كضرورة العضلات والأوتار العصبيّة للمشي»[1].

وهـذه المبادئ تتَّصـف بثلاث صفات أساسـيَّة تميّزها عن مـا عداها[2]، وهي:

أوّلًا: تتميَّز بكونها كليَّة موجودة في كلِّ عقل.

ثانيًا: تتَّصف بالضروريّة؛ أي لا يستطيع العقل تصوّر نقيض لها.

ثالثا: تتَّصف بكونها بديهيَّة فطريَّة، قلبيَّة غير خاضعة للتجربة.

ومن الواضـح أنَّ المبادئ الأربعـة ضروريّة؛ إذ يمتنع اجتمـاع النقيضَيْن بالضرورة، ولكلّ حادث سـبب بالضـرورة، ولو كان منشـأ هذه المبادئ هو التجربة، لم نعلم أنّها ضرورة؛ لأنَّ التجارب الحسّـيّة تثبت لنا أصل الشـيء، ولكنَّهـا لا تثبت اللّابدِّيَّة والضرورة، وعلـى ذلك فاتِّصاف هذه المبادئ بأنّها ضرورة، معناه أنّها لم تأتِ من التجربة، وإنّما أتت من مصدر قبليّ سابق على التجربة.

فاجتمـاع النقيضَيْن ممتنعٌ فـي جميع الأحوال والظـروف، ولكلّ حادث سـبب في جميع الأحـوال والظروف، ولـو اعتمدنا في معرفة هـذه المبادئ التجربة لم نستفد أنّها كلِّيَّة؛ لأنّ التجربة محدودة النطاق.

إذن فالمذهـب العقلـيّ يؤكِّـد أنّنـا نـرى بوجداننـا أربعة مبـادئ تتَّصف بالضـرورة والكلِّيّـة، وهذا يعنـي أنَّ هناك مبادئ قبليّة سـابقة علـى التجربة مغروسة في الفطرة.

(١) ينظر: المعجم الفسفي:٢/ ٣١٦.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ٣١٧.

المنهج النقليّ: وهو طريقة دراسة النُّصوص المنقولة وأخذ النتيجة منها، ويقوم هذا المنهج على العناصر الآتية:

١. توثيق إسناد النَّصِّ إلى قائله:

ويأتي هذا بالرجوع إلى المنهج الخاصّ لذلك العلم الخاصّ، كعلم الرجال الذي يقوم بدراسة أسانيد أحاديث الأحكام الفقهيّة وتاريخ الرواة.

٢. التَّحقُّق من سلامة النَّصِّ دلالة:

بمعنى التأكّد من أنّ النَّصَّ لم يدخله التَّحريف أو التَّصحيف أو الزيادة أو النقص أو ما إلى ذلك؛ أي إنّه سليم من هذه الأمور.

٣. فهم مدلول النصّ:

وهذا يمكن تحصيله بالرجوع إلى الوسائل والأدوات العمليّة والمقرّر استعمالها لذلك، وتعرف في ضوء المنهج الخاصّ بالحقل المعرفيّ كعلم أصول الفقه بالنسبة إلى معرفة مداليل النصوص الفقهيّة من آيات وروايات[١].

المبادئ العقليَّة وتطبيق المقدّس الأردبيليّ لها:

اتخذ المقدّس الأردبيليّ منهج الدراسة العلميّة غير المتحيّز اتجاه مذهب ما، وطبّق الضوابط والقواعد المنطقيّة العلميّة، ولذلك نرى عنده:

أوّلًا: استقلال التفكير:

إنّ تعرُّض المقدّس لتلك الأقوال والمناهج لم يقدّمه بوصفه ناقلًا ومقلّدًا، بل جعله ناقدًا ومحقّقًا لأفكار الآخرين، ومستقلًّا في تفكيره وتحقيقه، فتراه لم ينفعل بالمذهب، ولم يدافع عنه؛ لأنّه ينتمي إليه، بل يدافع عن الحقيقة

(١) ينظر: أصول البحث: ٥٢- ٥٣.

التـي تعقّلها وأقام عليهـا الأدلّة، فيتعامل مع أفـكار الآخرين بكلّ موضوعيَّة وحياد.

ونـراه قـد ناقش في بعـض الـكلام المنقـول، ووافق الشـارح في بعض كلماته[١]، وكذلك عرض الأدلَّة على إمامة غير الإمام عليّ عليه السلام[٢]. واسـتدلَّ على ما ذكره من مطلب، ثمّ وافق الرازيّ في الجملة[٣].

ثانيًا: تطبيق الموازيـن العقليّة والمنطقيّة على ما يذكره من أدلّة وإرجاعها إلى البديهيّات الواضحة التي لا تحمل الشكّ.

وبحث المقدَّس الأردبيليّ المطالب حسـب تسلسها عند الخواجة نصير الدِّين الطوسيّ؛ إذ إنّ المباحث العقديّة تتمحور حول أصول الدِّين الخمسة، وهـي: (التوحيد، والنبـوّة، والإمامـة، والعـدل، والمعاد)، فنـرى المقدّس الأردبيليّ في استدلالاته، ومناقشاته استعمل البرهان العقليّ، وهو تارة تكون مقدّماته بديهيّة بنفسـها، وأخرى تنتهي إلى بديهيّة، فعندما اسـتدلّ المحشّـي علـى وجود واجـب الوجود ببرهان الإمكان اسـتعمل فيه بعـض المقدّمات البديهيّة التي لا تحتاج إلى اسـتدلال، فمثلًا: الـدور لا يحتاج إلى دليل على بطلانـه؛ لأنّه يؤدّي إلى اجتماع النقيضَيْن، والتسلسـل كذلك هو باطل بذاته، وأنّ إقامـة البرهـان عليه لأجل التنبيه لا أكثر فهو باطـل بذاته؛ لأنّه ينتهي إلى اجتماع النقيضين، فضلًا عن أنّه استعمل بعض القضايا الأوليّة البديهيّة، وهي الموجـود إمّا أن يكـون واجبًا أو ممكنًـا أو ممتنعًا، فهـذه القضيّة يصدِّق بها

(١) ينظر: الحاشية على إلهيَّات الشرح الجديد للتجريد: ٨٥.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٤٦.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٣٧.

العقل من دون الحاجة إلى سبب خارجيّ عن ذاتها، وهذا ما اتخذه المحشّي منهجًا له في مبحث صفات الباري؛ إذ أقام البرهان عليها الذي يتألّف من قضايا بديهيّة أو تنتهي إلى بديهيّة.

وفي مسألة الإمامة استعمل البرهان؛ إذ اعتمد على مقدّمات بديهيّة، ففي وجوب تنصيب الإمام أشار إلى وجوب نصب الإمام دفعًا للضرر، وهو أمر بديهيّ وأشار إلى تطابق آراء العقلاء على ذلك، فإنّ تطابق آراء العقلاء على قضيّة؛ يعني أنّها من المشهورات البديهيّة[١]، إضافة لذلك معرفة المحشّي بكيفيّة استعمال الدليل ومواطنه، ففي بحث(أنّ الإمام يجب أن يكون معصومًا)[٢] يكون استعمال الدور لا معنى له، والصحيح هو استعمال التسلسل على وجوب العصمة، إضافة إلى ذلك فإنّ المحشّي ردّ على كلّ ما ذكر من أدلّة من قِبل أعلام المذهب الآخر على كلّ مسألة تخالف الاعتقاد الأمامي؛ سواء أكانت مسألة كبيرة أم صغيرة.

ثمّ لا يخفى على من لاحظ كلام المحشّي فإنّه استعمل الأدلّة المشهورة، والمشهورات تُعدُّ أحدَ موادّ الدليل البرهانيّ؛ إذ استدلّ بآية الولاية[٣] وحديث الغدير[٤]، وحديث المنزلة[٥]، وحديث الأخوة، وغيرها، وهي كلّها أمور متواترات أم مشهورات تسالم عليها القوم في ورودها في عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فلا ينكرها إلّا مكابر على عقله ومتّبع لهواه.

(١) ينظر: الحاشية على إلهيّات الشرح الجديد للتجريد: ١٧٨ - ١٩٩.

(٢) المصدر نفسه: ٢٠٠.

(٣) المصدر نفسه: ٢١٥.

(٤) المصدر نفسه: ٢١٨.

(٥) المصدر نفسه: ٢٢٨.

ثـمّ يأتـي بخلاصة من كتـاب المناقـب للخوارزميّ، وكتـاب كفاية الأثر وبعـض أبـواب كتاب الحجّة من أصـول الكافي في مبحـث الإمامة من هذا الكتاب، ثمّ يختتم كتابه بالبحث عن المعاد وما يتَّبعه من التَّوبة والشَّفاعة وما يناسبها.

نمـوذج: وإليـك كلامه في بحث المريد حتّى تتّضح الصورة بشـكل جليّ وواضح لما أقوله.

قال المقدَّس الأردبيليّ:«ففيه نظر: أمّا **أوّلًا** فلأنّ مراد من قال: «إنّ الإرادة اختياريّة » أنّها ليست بجبلِّيّة كالشوق، لا أنّه يصدر عنه بإرادة أخرى إمّا بنفس العلم بالنفع أو مسبّب عنه، فتأمّل.

وثانيًـا: أنّه قد يلزم بأنّ بعضها اختياريّة دون البعض ويمنع التحكّم، وكذا عـدم مسـاعدة الوجدان بل نجـد غير ذلك، فإنّـا نجد أنّا في إيجادنا الشـيء واختياره لسـنا بموجب، بل نجد في أنفسنا أنّا قادرون على تركه وترك إرادته حتّى نوجـده، وليس فيه إيجاب الفعل ولا إيجـاب الإرادة كالفعل ولا إرادة أخرى لها لا إلى النهاية.

وثالثًـا: يُمنع كـون الأمور الاختياريّة تنتهي إلى الأمـور الاضطراريّة، فإنّ تصـوّر الفعل المطلـوب قد يحصـل بالاختيار، وكـذا اعتقاد النّفـع ولو في تحصيل المقدّمات. فقوله: «فإنّ اعتقاد النفع...» ممنوع.

ورابعًـا: على تقدير تسـليم أنّ الاختيار في الحيوان مـا ذكره: ليس قدرته عبـارة عن ذلـك، كيف والقدرة بالنسـبة إلى الطرفَيْن على السـواء، والإرادة مرجّحة لأحدهما.

وخامسًـا: أنّه لا يمكن أن يوجد فعل اختيـاريّ من عاقل من غير إرادة، بل

لا يمكن تناول الأطعمة اللذيذة الضارّة بالنسبة إلى العالم بضررها من غير إرادة.

وسادسًا: أنّه لو سُلّم ذلك لم يكن من الأفعال الاختياريّة، فلا يضرّ بكون مبادي الأفعال الاختياريّة خمسة.

وسابعًا: أنّه قد يكون مراد القائل أنّه لا يريد المبادي على ذلك، لا أنّه لا ينقص، فإنّ القائل صرّح بأنّ الإنسان قد يشتهي ما لا يريده، كالأطعمة اللذيذة الضارة، وقد يريد ما لا يشتهيه كالأدوية، فقد صرّح بانفكاك أحدهما عن الآخر. فكيف يقول: إنّه لا بدّ من اجتماعهما دائما؟!!.

وثامنًا: أنّه قد مرّ تحقيق أنّه يجوز الثواب والعقاب على تحقيق المعتزلة لوجود الاختيار، ولو سُلّم الانتهاء بالآخرة إلى الإيجاب، فقد يُقال: إنّه يكفي للثواب والعقاب الاختيار في الجملة، وكون الفعل صادرًا عنه وباختياره أوّلًا، وإن كان بالآخرة إيجاب، فتأمّل.

وتاسعًا: أنّه قد تقرّر عند أهل الحق -على ما يدلّ عليه العقل والنقل كتابًا وسنّة وإجماعًا على الوعد بالثواب والعقاب، بحيث يدلّ صريحًا- أنّ ذلك بالاستحقاق مثل: ﴿بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وهي في القرآن العزيز والسنّة الشريفة أكثر من أن يُحصى ولا يحتاج إلى البيان والذكر. والعقل يجد أنّ من أطاع شخصًا في مطلوبه ومأموره ولا يخالفه أنّه يستحقّ به المدح، وأنّ من عصاه يستحقّ الذمّ والعقاب.

وعاشرًا: أنّه لو صحّ عدم استحقاق الثواب كيف يصحّ عدم استحقاق العقاب مع إعقابه؛ فإنّ عقاب من لا يستحقّ ممّا لا خفاء فيه في كونه ظلمًا، فلا تغفل عن قوله: «قد تقرَّر عند أهل الحقّ أنّ الثواب والعقاب من الله تعالى

ليس لسابقة استحقاق...»[1].

وكان مبنى ذلك على كون الحسن والقبح شرعيّين فقط. وفيه ما لا يخفى؛ بل ممّا ذكرنا أنّهما عقليَّان؛ بل ذلك لا يجوز على تقدير كونهما شرعيّين أيضًا؛ إذ لا يجوز عقاب من لا يستحقّ عند عاقل؛ بل عند مجنون وصبيّ أيضًا، فتأمّل. فكيف يجوّز الشارع. فقوله: «لا يساعده أهل الحقّ ولا التحقيق» غلط.

وحادي عشر: أنّ الكسب بالمعنى الذي ذكره جبر محض لا واسطة بين الجبر والتفويض، فإنّ مقارنة الإرادة مع عدم تأثيرها أصلًا كعدمها لا يُخرجه عن الجبر وهو ظاهر.

وثاني عشر: أنّه يلزم عدم اندفاع المحذورات التي ألزمت الأشاعرة بها الجبريّة والقدريّة الممنوعة شرعًا أيضًا. ومنها يلزم أن يكون تكليف العاجز واقعًا، ولم يذهب به أحد وإن جوّزه بعض بالقدرة المقارنة إذا لم يمكن تأثيرها في الفعل لصاحبها لم ينفع، فإنّ وجود ما لا تأثير له في حكم العدم، كيف وتأثيرها في الفعل محال عند الأشاعرة على ما يقتضيه دليلهم»[2].

التطبيق الأوّل:

لاشكّ أنّ ما نقلناه هو مجرّد نموذج يعبّر عن طريقة المقدَّس الأردبيليّ في الردّ والمناقشة لكلام الأعلام الآخرين، وإلّا فكتابه مليء بالأدلّة القويّة الرصينة في الردّ على المخالفين.

فنقول: المحقّق الدوانيّ استعمل القضيّة القائلة:(النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان)، وأثبت أنّ الإرادة ليست فعلًا اختياريًّا؛ لامتناع كونها اختياريّة

(١) الحاشية على إلهيَّات الشرح الجديد للتجريد:٧٠-٧٢.

(٢) المصدر نفسه:٧١-٧٢.

فيثبت كونها ليست اختياريّة؛ لأنّ النقيضَيْن لا يجتمعان ولا يرتفعان، وهنا المحقّق الأردبيليّ سلّم بالمبدأ، وردّ التطبيق فقال: إنّ هناك مسبَّبًا آخر للإرادة وهو إمّا العلم نفسه أو مسبّبٌ عنه، وتكون الإرادة اختياريّة صادرة عن العلم أو مسبّبه، وهنا المحقّق كذلك استعمل الأصل العقليّ - النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان - للإثبات.

وردّ الإشكال الثاني للدوانيّ القائل بعض الإرادة اختياريّ دون بعض.

نعم، ممكن أن يكون بعضها اختياريًّا من دون بعض ولا يلزم التحكّم، والوجدان حاكم على ذلك، وهذا تصريح منه أنّ هذه القضيّة بديهيّة أنّنا نجد في أنفسنا أنّنا قادرون على إيجاد الشيء وتركه.

وبالرد الخامس استعمل قضيّة النقيضَيْن لا يرتفعان ولا يجتمعان، فقال: لا يمكن أن يصدر فعل اختياريّ من غير إرادة؛ لأنّ الفعل الاختياريّ إمّا يصدر بإرادة من الفاعل أو من دون إرادة، ولا يمكن أن يصدر فعل اختياريّ لا بإرادة ولا من دون إرادة؛ لأنّه ارتفاع للنقيضَيْن ولا بإرادة ومن دونها؛ لأنّه اجتماع للنقيضَيْن، وأمّا لماذا لا يصدر فعل من عاقل اختياريّ من دون إرادة فذلك ندركه بالوجدان بعدم إمكانه.

التطبيق الثاني:

استعمل المحقّق الدليل العقليّ في الردّ على من قال: إنّ اشتمال الإمامة على اللّطف لا يكفي في وجوبها على الله تعالى؛ لأنّه لابدّ أن نعلم بانتفاء المفاسد عنه تعالى، ولا يكفي الظنّ بانتفائها، فيمكن أن تشتمل الإمامة على مفسدة لا نعلمها، فلا تكون واجبة على الله تعالى.

الجواب: إنّ التكليف بغير المعلوم محال فلابدّ أن يكلّفنا الله بما هو

معلـوم؛ لأنّ النقيضَيْن لا يجتمعـان ولا يرتفعان، والتكليف إمّا يكون معلومًا أو غيـر معلـوم ولا ثالث له، وتكليفنا بغيـر المعلوم محال، فلابـدّ أن يكلّفنا بالمعلوم، فتكون المفاسـد معلومة الانتفاء عن الإمامة، فيجب علينا اجتنابها إذا علمناها؛ لأنّا مكلّفون بالمعلوم.

التطبيق الثالث:

في بحث وجوب نصب الإمام يسـتعمل المحشّي مبدأ الهُويّة للتفرقة بين حقائق الأشـياء ليناقش به الشـارح، فيقول له:(ثمّ العجب من عدّ التفرقة بين وجود إمام مرجوّ ظهوره في كل آن، وبين معدوم يُرجى وجوده وظهوره...)

فإنّـه يريـد التفرقة بين حقيقـة الموجود المنتظـر وبين المعـدوم المنتظر ظهوره، ويشكل به على الشارح؛ فإنّ هُويّة أحدهما تختلف عن هُويّة الآخر.

المبحث الثالث: المنهج النقليّ عند المقدّس الأردبيليّ

وممّا لا شكّ فيه ولا شبه أنّنا نرى أنّ المحشّي استعمل المنهج النقليّ في طريقة استدلاله؛ إذ استعمل القرآن الكريم للاستدلال به في بحث التوحيد قليلًا، واستعمله في بحث الإمامة، فقد استدلّ بآية الولاية وآية أولي الأمر وآية الصادقين، واستدلّ بالحديث الشريف على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام حديث الغدير، وحديث الأخوّة إضافة إلى الاستدلال بما نقل من فضائل الإمام عليه السلام، وكلّ تلك الأدلّة لاحظ فيه صحّة السند والدلالة، بل بعضها إن لم تكن كلّها وصلت إلى حدّ التواتر[1].

نماذج تطبيقيّة:

في بحث وجوب نصب الإمام أجاب المحشّي عن إشكال ذكره الرازيّ والشارح وغيرهما، ويستعمل الدليل النقليّ لإثبات وجود الإمام، وأنّ وجوده فيه فضل لنا فيقول: «ويقولون بأنّ وجوبه بالأدلّة النقليّة التي أشرنا إليها مثل: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة»[2]، ومثل ما ذكر الكلينيّ، إذ قال عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن أبي عمير، عن الحسين بن أبي العلاء قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «تكون الأرض ليس فيها إمام؟

(١) ينظر: الحاشية على إلهيّات الشرح الجديد للتجريد: ١٧٨.

(٢) ورد مضمون هذا الحديث في صحيح مسلم(١٤٧٨/ كتاب الإمارة) عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»، وأيضًا يروي في أحمد (مسنده:٤/ ٩٦) وابن حبان في(صحيحه:٧/ ٤٩) والأصفهاني في(حلية الأولياء:٣/ ٢٢٤).

قال: «لا»، قلت: يكون إمامان؟ قال: «لا، إلّا وأحدهما صامت»[1].

أحمد بن مهران، عن محمّد بن عليّ، عن الحسين بن أبي العلاء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: تبقى الأرض بغير إمام؟ قال: «لا».

محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمّد، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ الله أجلّ وأعظم من أن يترك الأرض بغير إمام عادل...»[2].

وهكذا يذكر أحاديث متعدّدة على إثبات وجود الإمام والفائدة منه، ونترك الكلام فيها؛ لطوله.

(١) شرح أصول الكافي:٦/ ٣٠٣.

(٢) الحاشية على إلهيَّات الشرح الجديد للتجريد:١٨٣.

المبحث الرابع: المنهج التكامليّ عند المقدّس الأردبيليّ

تعرّض القوشجيّ لبحث الإمامة وذكر كلام الخواجة نصير الدِّين الطوسيّ وشرحه، ثمَّ ردّ عليه فابتدأ في وجوب نصب الإمام وعصمة الإمام، وأفضليّته ووجوب النصّ على الإمام والنصوص الجليّة على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام وآية الولاية، وحديث الغدير، وحديث المنزلة، وحديث المؤاخاة، ومطاعن الخلفاء، وأفضليّة أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب عليه السلام، وإمامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام وأحكام المخالفين، وردّ كلّ ما أثبته الشيعة من عقيدة في هذه المطالب، ولكنّ المقدّس الأردبيليّ بسط القول في كلّ مطلب من هذه المطالب، وردّ على ما ذكره القوشجيّ من أدلّة تفتقر إلى العمق والمتانة بأدلّة رصينة تعتمد العقل والنقل، وإليك بعضًا منها:

ففي وجوب نصب الإمام تعرّض القوشجيّ إلى الأقوال في وجوب نصب الإمامة أواجب عقلًا، أو نقلًا، أم غير واجب مطلقًا؟ كلّ فرقة قالت بقول، وجاء المقدّس الأردبيليّ، وتعرّض لكلامه فذكر أنَّ وجوب نصب الإمام واجب عقلًا ونقلًا؛ وذلك بدليل وجوب دفع الضرر وحصول النفع في الدنيا والآخرة، ولقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[1].

ثمّ يردّ على القوشجيّ بأنّ القائل بوجوب نصب الإمام عقلًا ليس فقط الإماميّة، بل هناك غيرهم، كما نقل ذلك في المواقف، ثمَّ يتعرّض للأدلّة التي ذكرها القوشجيّ على أنّ الوجوب شرعيّ ودليلهم الإجماع، فردّ عليهم

(١) سورة النساء:٥٩.

المقدَّس الأردبيليّ بردٍّ ينمّ عن عقليّة قويَّة ونظرة ثاقبة وفطنة عالية:

أوّلًا: إنّ أصل هذا الوجوب الشرعيّ هو عقليّ؛ وذلك لأنّ عدمه يلزمه الضرر ودفع الضرر واجب عقلًا[1].

وثانيًا: لا يوجد إجماع حقيقيّ؛ لأنّ المجتمعين الصحابة وقد خرج منهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهكذا يردّ كلّ الأدلّة التي ذكرها بردود متعدّدة وبكيفيّات متعدِّدة[2]، ولم نتعرّض لذكرها في نماذج تطبيق؛ لأنّ المقام لا يسع لذلك.

(١) ينظر: الحاشية على إلهيَّات الشرح الجديد للتجريد:١٨١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه:١٨٢.

المبحث الخامس: استخدام المنهج العقليّ والنقليّ في التأثير والإقناع عند المقدَّس الأردبيليّ:

الإقناع فيه جانب القوَّة العقليَّة التي تنبع من عقيدة الإنسان التي يؤمن بها وتميّز الفرد عن غيره، وهذا ما كان يملكه المقدّس الأردبيليّ، ويتّضح جليًّا من ملاحظة نقاشه ودفاعه عن آراء المحقّق نصير الدِّين الطوسيّ، وكثيرًا ما نراه يختم نقاشه بكلمات تلامس القلب وتداعب الفكر، فتراه يقول: «فتأمّل أيّها الأخ وارحم نفسك ولا تقلّد ولا تنظر إلى ما يختصّ به الخصم بل إلى المتقن، بل إلى الذي يعلم بالدليل أنّه في حقّ مَن ورد؟ ومعناه ما هو؟ ولا يؤوّل من غيره ضرورة وحاجة ووجوه أقوى، فتهتدي به إن شاء الله»[1].

والإقناع يتحقَّق مع توافر شرائطه التي هي:

الإلمام بالموضوع: تراه محيطًا بالموضوع وملمًّا به من جوانبه جميعها، ويردّ على كلّ دليل يُطرح، فتراه في وجوب نصب الإمام يقول: إنَّ الإمام لطف فيجب نصبه، وهذا هو مذهب الإمامة، ويستدلّ عليه عقلًا، ونقلًا، ثمَّ يتطرّق الى كلام الرازيّ بشكل خاصّ أن وجوب النصب عقليّ، وسمعيّ، وعليه أكثر المعتزلة، والزيديّة، وبعد ذلك يبسط القول في الأدلّة النقليّة على ضرورة وجود الإمام في كل زمان فينقل(٢٤) حديثًا على لا بديّة وجود الإمام عليه السلام، فتراه يخوض مطلبًا علميًّا جميلًا محيطًا به من كلّ الجهات والجوانب؛ ليصل إلى فكرة مفادها أنّ وجوب نصب الإمامة لطف[2].

(١) الحاشية على إلهيّات الشرح الجديد للتجريد: ٢١٥.

(٢) ينظر: المصدر نفسه:١٧٩.

تحشيد الرأي: يستعرض آراء الأعلام المخالفين الذين وافقوه بالرأي:

ففي بحث(أنّ الإمام يجب أن يكون معصومًا) يذكر خمسة أدلّة على وجوب عصمة الإمام يقول بها الموافق والمخالف، ولذلك بعد أن يكمل استدلاله مع المناقشة والتوضيح، يقول:«فقد حصل من جميع هذه الوجوه المطلوب- وهو عصمة الإمام من الذنب بالمعنى الذي تقدّم- بإقرار الخصوم أيضًا قالوا به، بل بعدم صلاحيّة من يقول بإمامته لها، والرازيّ أيضًا قد سلّم، ونازع في وجوب العصمة، وذلك ليس بمقصود على ما عرفت، فإنّ المقصود [عدم] جواز كون المعصوم إمامًا ووجوب كونه معصومًا واشتراط الإمامة بها.

وقد دلّت الآية على ذلك؛ إذ سلّم أنّ الله أخبر بأنّها لا ينالها غير المعصوم، وخبره واجب الصدق»[1].

الدراية الكافية بالرأي المعارض: فتراه محيطًا برأي المعارض، ويمكنه الردّ عليه بسهولة وسلاسة، وهذا ما نراه في بحث الإمامة؛ إذ نرى أنّ الشارح محيطٌ بآراء المخالفين، وحافظٌ لها فتراه يستعرض رأي الرازيّ والكوشيّ والبيضاويّ وغيرهم من أعلام العامّة، ويذكر رأيهم وردّه عليهم تارة عقلًا ونقلًا وأخرى عقلًا فقط، وخير مثال على ذلك ذكر(١٥) شبهة للرازيّ، ويجيب عنها[2]، ولولا ضيق الوقت وقصر البحث لبسطنا الكلام في ذلك.

وقد رصدنا أكثر من أسلوب عند المحقِّق للإقناع، وإليك هذه الأساليب:

الإقناع بالإلحاح: التكرار والإلحاح له وجهان:

التكرار الراهن: بمعنى تكرار الفكرة أو الجملة مرَّات متعدِّدة في أثناء

(١) الحاشية على إلهيّات الشرح الجديد للتجريد: ٢٧.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٣٦٦-٣٨٨.

طرح الفكرة التي يريد إيصالها، وبعض المطالب كرّرها في أكثر من موضوع في الكتاب، فتراه يستدلّ على إمامة أمير المؤمنين بأشكال مختلفة وبأساليب متنوّعة، ومن جهات متعدّدة وروايات مختلفة، وكلّها تدلّ وتؤكّد على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام[1].

التكرار بالتذكير: التذكير بعواقب الأمور ومجريات الأحداث، فتراه يأمر بالتأمّل واتّباع العقل، والنهي عن التقليد في سبيل التخلّص من الضرر الأخرويّ، ونراه يخاطب القارئ بأسلوب هادئ وعقلائيّ أن ينظر بإنصاف حتَّى يعرف مواطن الحق[2].

وممّا سبق نصل إلى الإقناع بالعرض المتكامل؛ إذ يستعمل هذا الأسلوب بالدمج بين أساليب الإقناع المختلفة، وقد أشرنا فيما تقدَّم إلى نماذج يمكن مراجعتها.

(١) ينظر: الحاشية على إلهيّات الشرح الجديد للتجريد: ١٧٨-٣٦٦.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٣٤٨.

الخاتمة

توصّل البحث إلى مجموعة من النتائج نوضّحها على وفق الآتي:

١. تميّز المقدّس الأردبيليّ بعقليّة واسعة الأفق، ظهر ذلك عبر قراءته لردود القوشجيّ على الطوسيّ، والردّ على شبهات القوشجيّ؛ إذ استعمل أدلّة واضحة وجليّة تُبعد ما ذهب إليه القوشجيّ من شبهات.

٢. استعمل المقدّس الأردبيليّ في مسألة الإمامة البرهان، واعتمد على مقدّمات بديهيّة؛ إذ أشار إلى وجوبه دفعًا للضرر، وكذلك اعتمد على البرهان في المباحث العقديّة التي تتمحور حول أصول الدِّين الخمسة.

٣. أثبت المقدَّس الأردبيليّ أن نصب الإمام واجب عقلًا ونقلًا، مستندًا إلى ما ورد من آيات قرآنيّة وأحاديث شريفة.

٤. استعمل المقدَّس الأردبيليّ المنهجين العقليّ والنقليّ بأسلوب بارز في الكتاب كلّه، موازنًا بين المنهجين في إثبات ما يذهب إليه.

٥. في المنهج العقليّ استعمل المبادئ العقليّة الأربعة للوصول إلى المطلوب، بدءًا من الهُويّة ومبدأ الوسط الممنوع، ثمَّ الثالث المرفوع ومبدأ السببيّة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الكتب العربيَّة:

١. أصول البحث، المؤلف الدكتور عبد الهادي الفضليّ(ت:٢٠١٣م)، دار الكتب الإسلاميّ، قم(چاپ دوم، ١٤٢٧ هـ)

٢. الأعلام، قاموس تراجم، لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدِّين بن محمود بن محمّد بن عليّ بن فارس، الزركليّ الدمشقيّ(ت: ١٣٩٦هـ): دار العلم للملايين، ط٥، (د.ت).

٣. الأنوار النعمانيَّة، السيد نعمة الله الجزائري(ت: ١١١٢ هـ)، دار القارئ، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ.

٤. بحار الأنوار، الشيخ محمّد باقر بن محمّد تقي المجلسيّ(ت: ١١١١هـ) مؤسسة الوفاء، ط٢، ١٤٠٣ هـ.

٥. تجريد الاعتقاد، الشيخ نصير الدِّين الطوسيّ(ت: ٦٧٢ هـ) – تحقيق محمد جواد الحسينيّ الجلاليّ رحمه الله مكتب الإعلام الإسلاميّ، ط ١، ١٤٠٧هـ.

٦. الحاشية على إلهيّات الشرح الجديد للتجريد، المولى أحمد الأردبيليّ(ت:٩٩٣هـ)، تحقيق: أحمد العابدي، قم: مؤسّسة بوستان كتاب، ط٣، (د.ت).

٧. الخراجيات، المحقّق الكركيّ(ت: ٩٤٠هـ) تحقيق مؤسّسة النشر الإسلاميّ، ط١، (د.ت).

٨. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، أغا بزرك الطهرانيّ، دار الأضواء، إيران ط ٣، ١٤٠٣ هـ.

٩. رسائل ومقالات، الشيخ جعفر السبحانيّ، مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام قم، ط١، ١٤٢٩هـ.

١٠. شرح أصول الكافي، مولي محمد صالح المازندراني(ت: ١٠٨١هـ)، تحقيق: السيِّد علي عاشور، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

١١. الشرح الجديد، علاء الدِّين علي بن محمّد القوشجيّ(ت: ٨٧٩هـ)، الناشر رائد، ط١، (د.ت).

١٢. الشفاء، أبو علي ابن سينا، تحقيق: د. أبو العلا عفيفي، تصدير ومراجعة: د. إبراهيم مدكور، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم- إيران، ١٤٠٥هـ، المطبعة الأميريَّة بالقاهرة، ط٢، ١٣٧٥هـ- ١٩٥٦م.

١٣. صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميميّ، أبو حاتم، الدارميّ، البُستي(ت: ٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

١٤. صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيريّ النيسابوريّ(٢٠٦ - ٢٦١ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابيّ الحلبيّ وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤ هـ- ١٩٥٥ م.

١٥. الفوائد الرضويّة في أحوال علماء المذهب الجعفريّة، الشيخ عباس القميّ، تحقيق: باصر باقري بيد هندي، انتشارات مؤسّسة بوستان كتاب، ط١، ١٣٨٥هـ.

١٦. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، العلَّامة الحلّيّ(٦٤٨ ٧٢٦ هـ)، صحَّحه وقدَّم له وعلَّق عليه:آية الله الشيخ حسن حسن زادة الآمليّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، قم المشرّفة، ط٧، ١٤١٧هـ.

١٧. مجمع الفائدة والبرهان، المحقّق الأردبيليّ(ت: ٩٩٣هـ)، تحقيق الحاج اغا مجتبى العراقي، الشيخ بناه الاشتهاردي، لحاج أغا حسين اليزدي الأصفهانيّ، مؤسسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة.

١٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل(١٦٤ - ٢٤١ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد - وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركيّ، مؤسّسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

١٩. المعجم الشامل للمصطلحات العلميَّة والدِّينيَّة، إبراهيم حسين سرور، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

٢٠. المعجم الفلسفيّ(بالألفاظ العربيَّة والفرنسيَّة والإنكليزيَّة واللاتينيَّة)، الدكتور جميل صليبا، الشركة العالميَّة للكتاب، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٢١. نشأة الفكر الفلسفيّ في الإسلام: المؤلِّف علي سامي النشَّار (ت: ١٩٨٠م)، دار المعارف، القاهرة ط٨، (د.ت).

الكتب الفارسيَّة:

١. برهان الشفا، شرح مصباح اليزدي: طبعة بالفارسي، ح برهان شفا (ج ١ و ٢) تحقيق و نگارش: محسن غرويان.قم: انتشارات مؤسسه آموزشى و پژوهشى امام خمينى قدس سره، ١٣٨٤.

٢. ريحانة الأدب، محمد علي مدراس التبريزيّ، مكتبة الخيام، ط٣، ١٣٦٩هـ.

الشَّاهدُ القرآنيُّ في كتابِ صفوةِ الصفاتِ للكفعميّ (ت٩٠٥ هـ) بين التصريحِ والتلميحِ

the Qur'anic witness In the book "Safwat al-Sifat" by al-Kaf'mi 905 AH Between Explicitness and Allusion

م. م عمّار عبد العبّاس عزيز

مديرية التربيّة/ كربلاء المقدّسة

Asst. Lecturer 'Ammar 'Abd al-'Abbas 'Aziz

Directorate of Education, Holy Karbala

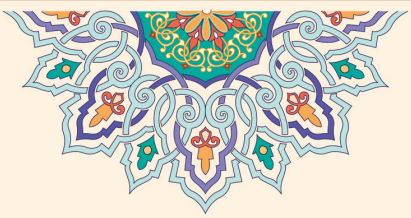

الملخّص

يتّخـذُ أصحابُ الأطروحـاتِ العلميّةِ سُـبُلًا حجاجيّةً لتوضيـحِ ما أثبتوه وتقريرِه، وهذه طريقةٌ نفذت في العلومِ جميعِها، ومن بينِها العلومُ الإنسـانيّةُ، فعالِمُ اللغةِ -مثلًا- يجعلُ نافلةَ قاعدتِه شـاهدًا لغويًّا من مصادرِ الاستشـهادِ المعروفـةِ، يُقـوّي بها قاعدتَه ويحجُّ بها مسـتقبلَها، فضلًا عـن أنّ القاعدةَ أو المعنى قامَ أساسًا على ذلكَ الشَّاهدِ، فالأخيرُ إذن ذو وظيفةٍ مزدوجةٍ.

وفي كتـابِ (صفوةِ الصفاتِ في شـرحِ دعـاءِ السـماتِ) للكفعميِّ (ت: ٩٠٥هـ) نجـدُ عمليّةَ الاستشـهادِ بالنـصِّ القرآنيِّ تمثّـلُ ركنًا ركينًـا اعتمدَه المؤلـفُ؛ ليؤدّي وظائـفَ متعدّدةً، وما هذا البحثُ إلّا أن سـلّطَ الضوءَ على هذه العمليّةِ بوصفِها ظاهرةً واسـعةً في الكتابِ، مثّلـت عمودًا راكزًا للبرهنةِ والتدليلِ على ما تمَّ طرحُه، وصورةً جليّةً لنشـاطِه الفكريِّ القائمِ على تحليلِ اللغةِ وهندسـةِ تقاطعاتِها على المستوى الدلاليِّ، والنظرُ إلى الشَّاهدِ وقعَ من وجهتينِ؛ التصريحِ به بالأنماطِ والوظائفِ، والتلميحِ إليه.

الكلمات المفتاحية: الشـاهدُ القرآنيُ، الكفعميّ، كتـابُ صفوةِ الصفاتِ، دعاءُ السماتِ.

Abstract

The authors of scientific theses take arguing ways to clarify and establish what they have proven, and this method has penetrated all sciences, including the humanities, the world of language-for example-He makes the supererogatory rule of his as a linguistic witness from the well-known sources of martyrdom, with which he strengthens his rule and performs the pilgrimage to its future, in addition to the fact that the rule or meaning is based on that witness, so the latter has a dual function.

In the book (Safwat al-Sifat fi Sharh Duaa al-Samamat) by al-Kafami, we find the process of citing the Qur'anic text as an important pillar on which the compiler relied. To perform multiple functions, and this research only sheds light on this process as a broad phenomenon in the book, which represented a focused column to demonstrate and demonstrate what was proposed, and a popular image of his intellectual activity based on the evidence of the interaction of the two aspects of language analysis and the interaction of the two aspects of the language level. Declaring it with patterns and functions , alluding to it.

Keywords: The Qur'anic reference, al-Kaf'ami, the book of Safwat al-Sifat, Du'a al-Simat.

المقدّمةُ

الحمـدُ لله الواحدِ، المعينِ الواهبِ الشَّـاهدِ، والصَّلاةُ والسَّـلامُ على نبيّنا ذي الذكرِ الخالدِ وآلِه الكـرامِ الأماجدِ، واللعنُ الدائمُ على أعدائهم إلى قيامِ اليومِ الشَّاهدِ، وبعدُ

فإنّ ذخيرةَ التراثِ الكربلائيِّ ما زالت تفيضُ بنميرِها على سـاحةِ البحثِ، وقـد دفعني هذا الثراءُ إلى التقاطِ جنبةٍ تستحقُّ البحـثَ والتقليبَ، في كتابٍ لأحـدِ الأعـلامِ الذينَ عاشـوا في هـذه المدينةِ المقدّسـةِ التي أنتمـي إليها، وهـو كتابُ (صفـوة الصّفات في شـرح دعاء السِّـمات) للشَّـيخِ إبراهيم بن علـيّ الكفعمـيّ رحمه الله؛ إذ انتبهتُ إلـى أنّ المؤلِّفَ قد أكثرَ مـنَ التَّمثيلِ بالآياتِ القرآنيّةِ في أثناءِ شـرحِه؛ بوصفِه -الشَّـاهدَ- آليّةً للتدليلِ وكشـفِ ما تضمّنَ فـي الدُّعاءِ من معـانٍ ودلالاتٍ، فلم يكتفِ بما جادَت به مُتونُ اللغةِ ليشـرحَ معانـي الكلمـاتِ، وإنّما الْتقَت هذه بتلـكَ، وغيرُهما لتكوينِ مـادّةِ الكتابِ؛ لتلوحَ للباحثِ مرجعيَّاتٌ متعدّدةٌ اضطلعَ بها المصنّفُ، شهدَت له بموسوعيّةٍ انعكسَت من محتوى كتابِه.

وقد يُتَصوّرُ - كما تصوّرَ الباحثُ في الوهلةِ الأولى - أنّ مناسبةَ الاستشهادِ بالآيـاتِ تخصُّ بيانَ معنًى لغويٍّ أو اسـتعمالٍ، إلّا أنّ الأمرَ امتدَّ أكثرَ من هذا التصوّرِ، فكانَتِ المناسـباتُ متعدّدةً سـتتّضحُ في أثناء البحثِ؛ والحالةُ هذه لافتةٌ للنَّظرِ وداعيةٌ للوقوفِ عليها بحثًا؛ من أجلِ فهمِ قيمةِ الشَّاهدِ القرآنيِّ في فكرِ المؤلِّفِ، والتعرّفِ إلى مكنتِهِ ودقّتِه في التوظيفِ، فضلًا عن تقديمِ قراءةٍ فاحصةٍ تستجلي جانبًا ثريًّا احتواه هذا الكتابِ.

وبعدَ هذه المقدّمةِ سيجيءُ التمهيدُ الذي خُصِّصَ لبيانِ المقدّماتِ المنهجيّةِ التي تشتملُ مصطلحَ الشَّاهدِ القرآنيِّ، والتعريفَ بكتابِ صفوةِ الصَّفاتِ ومؤلّفِه. ثُمَّ ينشعبُ البحثُ على قسمينِ، الأوّلُ تضمّنَ التصريحَ بالشَّاهدِ القرآنيِّ، وفيه أبْسُطُ مطلبينِ: أنماطُ الاستشهادِ في الكتابِ، والوظائفُ التي حقّقَها الشَّاهدُ القرآنيُّ، والقسمُ الآخرُ بحثتُ فيه التلميحَ إلى الشَّاهدِ القرآنيِّ، وذلكَ عِبرَ تعقّبِ الإيماءاتِ التي استعملَها المؤلِّفُ للدلالةِ على النصِّ المباركِ، بواسطةِ استعمالِ كلمةٍ أو تركيبٍ من آيةٍ، أو تلمّسِ معنى تلكَ الآيةِ. وجاءَ بعدَ هذينِ القسمَيْنِ ملخّصٌ بالنتائجِ، فقائمةٌ بالهوامشِ والمصادرِ والمراجعِ التي اعتمدَها البحثُ.

وقد فرضَتِ المادّةُ البحثيّةُ أن يكونَ منهجُ البحثِ قائمًا على الرَّصدِ والتَّحليلِ والوصفِ، اعتمادًا على مصادرَ رصينةٍ، ولا أشكُّ أبدًا في وجودِ الزللِ وهو من دونِ قصدٍ حتمًا؛ فإنّ كاتبَ هذه الأسطرِ فقيرٌ في بضاعتِه، يطلبُ من القارئِ الكريمِ العذرَ، وأرجو من الله أن يأخذَ بأيدينا إلى ما فيه خيرٌ ونفعٌ للإسلامِ والمسلمينَ، والحمدُ لله من قبلُ ومن بعدُ.

التمهيدُ

على شرطِ البحثِ العلميِّ عقَدتُّ هذا التمهيدَ لبيانِ المفاهيمِ التي حملَتها كلماتُ العنوانِ، من جهتي اللغةِ والاصطلاحِ، وكذلكَ التعريفُ بالكتابِ ومؤلِّفِه، ومن ثَمَّ سيتّضحُ للقارئِ الكريمِ مدارُ البحثِ وهدفُه:

أوّلًا: الشّاهدُ القرآنيُّ:

هذا المصطلحُ تتضايفُ في إنتاجِه كلمتانِ، نحنُ في غنًى عن بيانِ معنى الكلمةِ الثانيةِ؛ فهي تدلُّ على النسبةِ للقرآنِ وهو معلومٌ؛ إذن بنا حاجةٌ لكشفِ معنى المنسوبِ أي كلمةُ (شاهد)، وهي في اللغةِ اسمُ فاعلٍ من الفعلِ (شهِدَ)، الأصلُ الذي يدلُّ على حضورٍ وعلمٍ وإعلامٍ، ولا يخرجُ شيءٌ من فروعِه عن هذه المعاني[١]، يُقالُ للذي يُبيّنُ عندَ القاضي ما يعلمُه ويُظهرُه شاهدًا، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾[٢].

والشّاهدُ هو الحاضرُ كقولِه تعالى: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[٣]؛ أي تحضرُه ملائكةُ الليلِ والنهارِ، وتُطلِقُ العربُ (الشّاهدَ) على اللسانِ، تقولُ: ما لفلانٍ رُواءٌ[٤] ولا شاهدٌ؛ أي ما له منظرٌ ولا لسانٌ، وتُطلقُه أيضًا على الملَكِ

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: مادّة (شهد).

(٢) سورة يوسف: ٢٦.

(٣) سورة الإسراء: ٧٨.

(٤) الرواء هو المنظر، قال تعالى في سورة مريم الآية ٧٤: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا﴾. (والرِئي بالكسر فالسكون: ما رُئِي من المناظر، نقل في مجمع البيان عن بعضهم: أنه اسم لما ظهر وليس بالمصدر، وإنَّما المصدر الرأي والرؤية يدل

الموكّلِ منَ اللهِ عزّ وجلّ؛ لأنّه يحضرُ العبدَ ويشهدُ عليه[١]، ومِن دلالةِ الحاضرِ أن جعلوا كلمةَ (الشَّاهدِ) مقابلةً للغائبِ في حديثِ علماءِ اللغةِ عن الضمائرِ[٢].

لقد استغنى البحثُ عن بعضِ المعاني الأُخَر المذكورةِ في متونِ اللغةِ؛ لكفايةِ ما تقدّمَ، فالكلمةُ إذن من المشتركِ اللفظيِّ، وظهرَ لنا منَ المجموعِ أنّ معنى (الشَّاهدَ) في جميعِ الأسيقةِ والإطلاقاتِ يعودُ للأصلِ الذي ذكرِه ابنُ فارس (ت٣٩٥هـ) في مقاييسِه، وهو الحضورُ العيانيُّ والعلمُ والإعلامُ بالشَّيء.

أمّا في اصطلاحِ أهلِ المعرفةِ فيختلفُ مفهومُ الشَّاهدِ بحسبِ استعمالِ أهلِ الصنعةِ، فهو عندَ المتصوّفةِ «عبارةٌ عمّا كانَ حاضرًا في قلبِ الإنسانِ، وغلبَ عليه ذكرُه، فإن كانَ الغالبُ عليه العلمُ فهو شاهدُ العلمِ، وإن كانَ الغالبُ عليه الحقُّ فهو شاهدُ الحقِّ»[٣]، والوصولُ للشَّاهدِ عندَهم بإحدى الحواسِّ يُسمّى مشاهدةً.

وعندَ الفقهاءِ يُستعملُ مصطلحُ الشَّاهدِ وصفًا للحديثِ الذي يؤيّدُ حديثًا، ولكنّه ليسَ بلفظِه، بل بمعناه، وطريقُ روايتِه مختلفٌ أيضًا فيكونُ معضِّدًا ومقوّيًا[٤]، والاستشهادُ عندَهم «إقامةُ الدليلِ على دعوى، ومنه قولُهم:

على ذلك قوله: ﴿يرونهم مثليهم رأى العين﴾ فالرأي: الفعل، والرئي المرئي كالطحن والطحن والسقي والسقي والرمي والرمي)، ينظر: الميزان في تفسير القرآن: المكتبة الشيعية، ١٤/ ١٠٠.

(١) ينظر: لسان العرب: مادّة (شهد).

(٢) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسُنَن العرب في كلامها: ١٦٣.

(٣) التعريفات، الجرجانيّ: ١٢٤، وينظر: كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ١ / ١٠٠٣.

(٤) ينظر: القاموس الفقهيّ: ٢٠٢.

يستشهدُ على صحّةِ هذا بالحديثِ أو بالآيةِ»[١].

وكانَتِ الصِّلةُ الوثيقةُ بينَ الفقهِ والعربيةِ مُفضيةً إلى تشابهٍ في بعضِ الإجراءاتِ بينَهما، ومنها أن وجدنا عندَ علماءِ العربيَّةِ عمليّةَ الاستشهادِ والشَّواهدَ، وتسميتَها بالشَّاهدِ، إلّا أنّ تعريفَ الشَّاهدِ عندَهم جاءَ متأخّرًا، فهو «الجزئيُّ الذي يُستشهدُ به في إثباتِ القاعدةِ؛ لكونِ ذلكَ الجزئيِّ من التّنزيلِ أو من كلامِ العربِ الموثوقِ بعربيّتِهم»[٢]؛ أي إنّه كلامٌ عربيٌّ فصيحٌ صحيحُ النقلِ، يوظّفُه المشتغلونَ بالعربيّةِ لإثباتِ استعمالٍ أو قاعدةٍ، والعمليّةُ هذه تُسمّى الاستشهادَ أو الاحتجاجَ[٣].

على ما تقدّمَ فإنّ الشَّاهدَ القرآنيَّ -على وَفقَ إجراءِ أهلِ اللغةِ- جزءٌ من آيةٍ أو آيةٌ كاملةٌ أو أكثرُ، يذكرُها المشتغلُ في اللغةِ لتكونَ دليلًا على صوابِ الاستعمالِ والقاعدةِ، أو لتكونَ بيانًا لمعنى، ومعَ الاستشهادِ بالقرآنِ يُستشهدُ بما صحَّ من أقوالِ النبيِّ صلى الله عليه وآله[٤]، وكلامِ العربِ بضوابطَ مكانيّةٍ وزمانيّةٍ معيّنةٍ[٥]، وترجعُ الثَّلاثةُ على التَّرتيبِ نفسِه إلى أصلٍ من أصولِ النَّحوِ العربيّ يُسمّى (السَّماع).

إنّ وظيفةَ الشَّاهدِ التي اقتصرَ على ذكرِها المعجميّونَ وغيرُهم - فيما طالعتُ - تأتي عقبَ وضعِ القاعدةِ والحكمِ اللغويِّ، ويقينًا فإنّ أيَّ شاهدٍ

(١) معجم لغة الفقهاء: ٦١.

(٢) كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ١ / ١٠٠٢.

(٣) ينظر: في أصول النحو: ٦.

(٤) اختلف علماء اللغة في الاستشهاد بأحاديث النبيّ صلى الله عليه وآله، وفي ذلك تفاصيل راجعها في: الاقتراح، السيوطيّ: ٤٣ - ٤٦.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٤٧ و ٤٨.

صحيحٍ يُسهمُ بشكلٍ رئيسٍ في صوغِ القاعدةِ والحكمِ والرأيِ عندَ العالمِ، حتّى وإن لم يُصرّح بذلكَ، وعليه تكونُ للشاهدِ وظيفتانِ عامّتانِ، قبليّةٌ وبعديّةٌ، الأولى تتعلّقُ بالعالمِ وتكونُ حينَ الاستقراءِ، وعليها يبني القاعدةَ، والأخرى تأتي بعدَ إبرامِ القاعدةِ، وتُمثّلُ دعامةً للقاعدةِ ووسيلةَ إقناعٍ وحجاجٍ للخصمِ أو المتعلّمِ.

وينبغي أن نذكرَ هنا أنّ بعضَ الأحكامِ عندَ الفقهاءِ وأهلِ اللغةِ لا تكونُ متّفقةً معَ ظاهرِ الشّاهدِ القرآنيِّ؛ إذ يقومُ هؤلاءِ بتأويلِ النَّصِّ عن ظاهرِه لينسجمَ معَ حكمِهم[١]، ومن ثَمَّ لا يكونُ النَّصُّ المباركُ شاهدًا لهم بل عليهم، والذي يحملُهم على هذا الفعلِ اعتباراتٌ، منها الأصولُ الاعتقاديّةُ والنظرةُ العقليّةُ، وإذا كانَ ثمّةَ ما يسوّغُ ذلكَ في الفقهِ، فإنّه في النحوِ غيرُ مقبولٍ؛ لأنّ علمَ النحوِ مستنبطٌ من كلامٍ متنوّعٍ بمستوياتِه، وليسَ من القرآنِ فحسب.

ثانيًا: صفوةُ الصفاتِ في شرحِ دعاءِ السماتِ:

يتتبَّع البحثُ الشَّاهدَ القرآنيَّ ويرصده في شرحِ المؤلِّفِ لدعاءِ السِّماتِ العظيمِ، وهو من الأدعيةِ التي تُقرأ في آخرِ ساعةٍ من يومِ الجمعةِ، وقد رواه الخاصّةُ بسندٍ عن الإمامِ محمّدِ بنِ عليّ الباقرِ (ت١١٤ هـ)، وعن الإمامِ جعفرِ بنِ محمّدٍ الصادقِ (ت١٤٨ هـ)عليهما السلام، ولأجلِ عظمتِه وآثارِه العجيبةِ وما فيه من معانٍ عميقةٍ وإشاراتٍ بها حاجةٌ إلى توضيحٍ؛ تولّى شرحَه ثلّةٌ كبيرةٌ من العلماءِ، فقد ذكرَ محقّقُ الكتابِ أربعةً وعشرينَ شرحًا له[٢]، وقد وصلَ عددُ الشروحِ في موسوعةِ (ويكي شيعة) على الإنترنت إلى واحدٍ وثلاثينَ شرحًا[٣].

---

(١) ينظر: أصول النحو العربيّ: ١٥٧.

(٢) ينظر: صفوة الصفات: ٢١ – ٢٣.

(٣) ينظر: بحار الأنوار، المكتبة الشيعية: ٧٨/ ٩٦

و يُعدُّ شرحُ الكفعميِّ للدُّعاءِ المُباركِ ثاني تلكَ الشروحِ؛ وأوّلَها استقلالًا في التصنيفِ؛ لذلكَ تمتّعَ كتابُه بشهرةٍ ومكانةٍ عاليَتَيْنِ، قالَ محقّقُ الكتابِ: «ولعلّه لا مبالغةَ إن قلنا: إنّ هذا الكتابَ الذي بينَ يديكَ هو المصدرُ الأساسيُّ لجُلِّ -إن لم نقل كلِّ- من صنّفَ بعدَه كالعلّامةِ المجلسيِّ وغيرِه في شرحِ هذا الدُّعاءِ المباركِ. خصوصًا وأنّ هذا الكتابَ المباركَ لا يُعدُّ شرحًا لألفاظِ الدعاءِ فحسب، بل هو في الحقيقةِ موسوعةٌ علميّةٌ تشتملُ على مواضيعَ عديدةٍ قلَّ ما تجتمعُ في كتابٍ واحدٍ»[١].

ويبدو أنّ الكفعميَّ ألّفَه وهو في جبلِ عامل؛ إذ كانَ تأليفُ الكتابِ بطلبٍ من أحدِ الفضلاءِ فيه، وهذا الأخيرُ كانَ لا يقلُّ شأنًا في العلمِ؛ لقولِ صاحبِ الكتابِ: «وجعلتُ هذه الرسالةَ هديّةً إلى شريفِ جنابِه، لائحةً لأعتابِ أبوابِه، وإن كنتُ في ذلكَ كمن يهدي التمرَ إلى هجرَ»[٢].

لم يذكر الكفعميُّ سببَ تسميةِ كتابِه بـ(صفوةِ الصِّفاتِ)، والصّفوةُ في اللغةِ خلاصةُ الشيءِ، فيكونُ المعنى خلاصةُ الصفاتِ، أمّا عن سببِ تسميةِ الدعاءِ بـ(دعاءِ السماتِ) فقد قيلَ إنّ السماتِ هي العلاماتِ، وكأنّ عليه علاماتُ الإجابةِ، وقيلَ: السماتُ هي الأسماءُ أو الاسمُ الأعظمُ[٣].

ثالثًا: الكفعميُّ:

هو الشَّيخُ تقيُّ الدِّينِ إبراهيمُ بنُ عليِّ بنِ الحسنِ بنِ محمّدِ بنِ صالحِ

(١) صفوة الصفات: ٢٣.

(٢) المصدر نفسه: ٦٤.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٧١.

ابنِ إسماعيلِ العامليّ الكفعميّ مولدًا، واللويزيّ محتدًّا[١]، والجبعيّ أبًا، والحارثيّ نسبًا، والتقيّ لقبًا، والإماميّ مذهبًا، والجبشيتيّ مدفنًا[٢]. فالكفعميُّ إذن نسبةٌ إلى المدينةِ التي وُلدَ فيها سنةَ (٨٤٠ هـ)، وهي قرية (كفر عيما) في جبلِ عامل، وهذه النسبةُ ليسَت قياسيّةً، وإنّما هي نظيرةُ (عبشميّ) إلى عبد شمس.

ذكرَ الكفعميَّ كثيرٌ من المترجمينَ وأهلِ العلم، من الخاصّةِ والعامّةِ، وأحسنوا الثناءَ عليه، فقد ذكرَه الحرُّ العامليُّ (ت١١٠٤هـ)، قائلًا: «كانَ ثقةً فاضلًا أديبًا شاعرًا عابدًا زاهدًا ورعًا»[٣]، وقالَ فيه المجلسيُّ صاحبُ البحارِ (ت١١١١هـ): «من مشاهيرِ الفضلاءِ والمحدّثينَ والصُّلحاءِ المتورّعينَ... وله تصانيفُ كثيرةٌ في الدّعواتِ وغيرِها»[٤]، أمّا الميرزا عبد الله أفندي الأصبهانيُّ (ت١١٣٠هـ) فقالَ عنه: «العالمُ الفاضلُ الكاملُ الفقيهُ المعروفُ بالكفعميِ، من أجلّةِ علماءِ الأصحابِ، وكانَ عصرُه متّصلًا بزمنِ خروجِ الغازي في سبيلِ الله الشاه إسماعيل الماضي الصفويّ»[٥].

درسَ الكفعميُّ علومَ اللغةِ والدينِ على يدِ مجموعةٍ من كبارِ الشيوخِ، وقد أجازَه بعضُهم في الروايةِ، كالسيّدِ حسينِ بنِ مساعدِ الحسينيّ الحائريّ (ت ٩١٠هـ، ٩١٧هـ)، والسيّدِ عليّ بنِ عبدِ الحسين بنِ سلطان الموسويّ،

(١) المحتدُّ هو الأصل، فأصل آبائه من قرية اللويزة في جبل عامل في لبنان، ينظر: أعيان الشيعة: ٢ / ١٨٥ .

(٢) ينظر: رياض العلماء وحياض الفضلاء: ١ / ٢١، وطبقات أعلام الشيعة، أغا بزرك: ٧ / ٦.

(٣) أمل الآمال: ١ / ٢٨.

(٤) نقل القول الشيخ عبد النبي الكاظميّ في كتابه(تكملة الرجال)، ينظر: أعيان الشيعة: ٢ / ١٨٥.

(٥) رياض العلماء وحياض الفضلاء: ١ / ٢١.

ووالدِه، وقد سكنَ كربلاءَ مدَّةً في أرضٍ تُسمى عقير[١].

له تصانيفُ متعدّدةٌ في علومٍ شتّى، ولا سيَّما في العربيّةِ والأدبِ، ومنها كتابُه الذي نبحثُ فيه، وكتابُه الأشهرُ (المصباحُ) الذي سمّاه بـ(جُنَّةُ الأمانِ الواقية وجَنَّةُ الإيمانِ الباقيةُ)، وهو في الأدعيةِ والصَّلواتِ وبعضِ الفوائدِ، وقد عدّدَ السَّيّدُ مُحسن الأمينُ (ت١٣٧١هـ) تسعةً وأربعينَ مؤلَّفًا له[٢]، وقد تزيدُ عن هذا العددِ[٣].

وفيما يخصُّ وفاتَه قد ذكرَ بعضُ المترجمينَ أنّه توفّيَ سنةَ (٩٠٠هـ)، ودُفِنَ في كربلاءَ، فقد أوصى في قصيدةٍ له أن يكونَ مدفنُه بأرضِ الحسينِ عليه السلام[٤]، قالَ:

سأَلْتُكُمُ بالله أنْ تَدْفِنُوْنِيْ ... إِذَا مِتُّ فِي قَبْرٍ بِأَرْضِ عَقِيْرِ
فَإِنِّي بِهِ جَارُ الشَّهِيْدِ بِكَرْبَلَا ... سَلِيْلِ رَسُوْلِ الله خَيْرِ مُجِيْرِ

إلّا أنّ بعضَهم قالَ بأنّه رجعَ إلى جبلِ عاملَ، وتوفِّيَ هناكَ سنةَ (٩٠٥هـ)، ودُفِنَ في قريةِ جبشيت؛ إذ ظهرَ للناسِ فيها قبرٌ عليه صخرةٌ مكتوبٌ فيها اسمُه، فصارَ مزارًا يُتبرّكُ به[٥].

(١) ينظر: أعيان الشيعة: ٢ / ١٨٤.

(٢) ينظر: رياض العلماء وحياض الفضلاء: ١ / ٢١، وأعيان الشيعة: ٢ / ١٨٥ و ١٨٦.

(٣) ينظر: مقدّمة كتاب صفوة الصفات للمحقّق: ١٦ – ٢٠.

(٤) ينظر: الطليعة من شعراء الشيعة، محمّد السماويّ: ١ / ٨٤ و ٨٥.

(٥) ينظر: أعيان الشيعة: ٢ / ١٨٤، و علماء في رضوان الله: ١٤٦.

القسمُ الأوّلُ: التَّصريحُ بالشَّاهدِ القرآنيِّ

فـي تفحّصنا لكتابِ الكفعميِّ وجدنا إكثارًا لافتًا منَ الاستشـهادِ القرآنيِّ؛ إذْ يزيدُ عددُ الشَّـواهدِ التي ذكرَها على المئتينِ والسـبعينَ شـاهدًا، فضلًا عن وجودِ شواهدَ أُخَر نقلَها من كتبٍ كانَت مرجعًا له في شرحِه، في الغالبِ كانَ يُشيرُ إلى أصحابِها وآرائهم.

ولا يخفى على الباحثِ أثرُ الاستشهادِ بالنصِّ القرآنيِّ؛ إذْ يُعدُّ رصيدًا معرفيًّا عميقًا وواسـعًا لا يسـتغني عنه أيُّ مدوّنٍ في العلومِ الإسلاميّةِ أو غيرِها؛ لأنّه أعلى الكلامِ وأصدقُه وأخلصُه منَ التحريفِ؛ ولذلكَ كانَ اسـتثمارُ الشَّـاهدِ القرآنيِّ في مناسـباتٍ متعدّدةٍ وأغراضٍ شتّى، فاقَت جميعَ أنواعِ الشواهدِ غيرِ القرآنيّةِ في الكتابِ.

ومـعَ هذه الأهمِّيّةِ للشَّـاهدِ القرآنـيِّ نعتقدُ بداعٍ آخرَ حمـلَ المؤلِّفَ على الإكثارِ منَ الاستشـهادِ بالنَّصِّ المباركِ، وهو ثقافتُه القرآنيّةُ التي اضطلعَ بها؛ إذ أخذَ يعرضُ كثيرًا من التفسـيراتِ لما يستشهدُ به، ويُقلّبُ الوجوهَ المعنويّةَ للكلمـاتِ التي تكرّرَ اسـتعمالُها في القـرآنِ الكريمِ، وقد نراه يسـتأنسُ بلغةِ القـرآنِ ليُقوّيَ روايةً للدعـاءِ، فقد قالَ معلِّقًا على لفـظِ الدعاءِ (وخضعت له الأصوات): «وخضعَت الأصـواتُ: أي خفّفَت وخُفضت وخُفيَت. وقراءةُ: وخشـعَت الأصـواتُ بالشـينِ أولى من خضعَـت بالضـادِ وإن كانَ معناهما واحـدًا إتباعًا للفظِ التنزيلِ في قولِه تعالى: ﴿وخشـعَتِ الأصواتُ للرحمنِ فلا تَسمعُ إلّا همسًا﴾»[1][2].

وبعدَ هذه التوطئةِ السريعةِ سنتناولُ في مسألةِ التصريحِ بالشواهدِ محورينِ

(١) سورة طه: ١٠٨.

(٢) صفوة الصفات: ١٢٥.

يُمثّلانِـه، الأوَّلُ يبحثُ في قضيّـةِ الأنماطِ التي اسـتعملَها الكفعميُّ في إيرادِ الشَّاهدِ، والآخرُ نجعلُه مسردًا للوظائفِ التي قدّمَها الشَّاهدُ.

أوّلًا: أنماطُ الاستشهادِ

منَ الطبيعيِّ أنَّ لا يسـيرَ المؤلّفُ بوتيرةٍ واحدةٍ في عرضِ الشَّاهدِ القرآنيِّ، فقد ثبّتَتِ الملاحظةُ أكثرَ من نمطٍ للتَّصريحِ به عندَه، سنأتي عليها تباعًا:

١. ذِكرُ موطنِ الشَّاهدِ من الآيةِ:

أي الاكتفاءُ بجزءٍ منَ الآيةِ عوضًا عن ذكرِها كاملةً، وهذا الجزءُ هو موطنُ الشَّاهدِ والداعي لاستعمالِه. ومن أمثلةِ هذا النمطِ ما جاءَ في مسردِه للمعاني المحتمَلـةِ لـمفـردةِ (كلمة) التي وردَت في الدعاءِ فـي نصّهِ (وبكلمتك التي خلقتَ بها السـماوات والأرضِ)، قـالَ: «وقولُه تعالى عـن يحيى: ﴿مُصدِّقًا بكلمةٍ مِنَ الله﴾[١]؛ أي بعيسـى عليه السلام مؤمنًا بـه، وقيلَ: إنَّه أوّلَ مَن آمنَ به. وإنّما سُـمّيَ كلمةً لأنّـه لم يوجد إلّا بكلمـةِ الله وحدَها، وهو قولُـه: «كُن» من غيرِ سببٍ آخرَ»[٢].

ففي هذا النصِّ من شرحِه أوردَ شاهِدَيْنِ قرآنيَّيْنِ؛ ليستدلّ بهما على أنّ من معاني مفردةِ (كلمة) في القرآنِ عيسـى النبيّ، وفي الشـاهدَيْنِ اجتزأَ من الآيةِ موطنَ الشَّـاهدِ وذكرَه من دونِ تكملةِ الآيةِ كلِّها، بل اكتفى منَ الشَّاهدِ الثاني بكلمـةٍ واحدةٍ فقط وهي (كُن)، حتّى أنّ مُحقّـقَ الكتابِ لم يُخرّجِ الآيةَ؛ لأنّ هـذه الكلمةَ تُحيلُ إلى أكثرِ من آيةٍ قرآنيّةٍ، هُنَّ الآيتان٤٧ و ٥٩ من سـورةِ آلِ عمرانَ، والآية ٣٥ من سورةِ مريم.

(١) سورة آل عمران: ٣٩.

(٢) صفوة الصفات: ١٤١.

إنّ هذا الأسلوبَ في ذكرِ الشَّاهدِ كانَ الأكثرَ في كتابِ الكفعميِّ؛ لِمَا يتميّزُ به من إيجابيّاتٍ، فهو يجعلُ القارئَ يتفاعلُ معَ بؤرةِ الشَّاهدِ مباشرةً، من دونِ بحثٍ وتشتيتٍ، فضلًا عن كونِه مظهرًا يُحقّقُ الاقتصادَ لدى المؤلّفِ في عرضِ مادّتِه العلميّةِ، شرطَ أن لا يكونَ الاجتزاءُ مخلًّا بالغرضِ ومُبهِمًا لمحلِّه.

وقد اعتدنا على هذه الطريقةِ في المدوّناتِ القديمةِ، اللغويّةِ وغيرِها؛ سواءٌ أكانَ الاستشهادُ بالآياتِ القرآنيّةِ أم بالشعرِ، ففي الشعرِ يُذكَرُ صدرُ البيتِ أو عجزُه بحسبِ الموطنِ، ويأتي الحاشي ليُكملَ بقيّةَ البيتِ في أثناءِ تخريجِه له.

٢. ذِكرُ الآيةِ كاملةً:

ونعني أنّ المصنّفَ يذكرُ الآيةَ كلَّها من دونِ أن يقطعَ منها شيئًا، بل قد يذكرُ آيتَيْنِ معًا، وهنا نسألُ: ما الأسبابُ التي تحملُه على ذكرِ النصِّ كاملًا بعدَما عرفنا نجاعةَ ذكرِ موطنِ الشَّاهدِ فحسبُ؟ لقد قمنا باستقراءٍ للشواهدِ من هذا النمطِ في محاولةٍ للوقوفِ على دواعي ذكرِ النَّصِّ كشاهدٍ بكاملِه، فوجدنا هذا النَّمطَ قليلًا جدّا بالقياسِ معَ نمطِ الاستجزاءِ.

ويمكنُ القولُ: إنّ سببَ ذكرِ النَّصِّ كلِّه يرجعُ لحاجةٍ دلاليّةٍ يُغطّيها كاملُ النصِّ، فمثلًا نجدُه في تعدادِ خواصِ الشّكرِ يذكرُ: «أنّ الشكرَ يستدعي سبقَ النعمةِ لقولِه تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ﴾[١]»[٢]. فنلحظُ أنّه سبقَ ذكرَ الشَّاهدِ بأنّ الشكرَ يكونُ عن نعمةٍ تسبقُه، فيكونُ الشكرُ بسببِها، ثُمّ ساقَ الشَّاهدَ الذي يتكوّنُ من جزءينِ؛ الأوّلُ

(١) سورة النمل: ٧٣.

(٢) صفوة الصفات: ٣١٧.

ذُكـرَت فيـه النعمةَ ﴿وإنّ ربّـك لذو فضل علـى الناس﴾ وهي موجبةُ الشـكرِ، والآخـرُ موضوعُ الشـكرِ ﴿ولكـنّ أكثر النـاس لا يشـكرون﴾. إذن فالآيةُ كلُّها شاهدٌ، ولا يصحُّ علميًّا ذكرُ جزءٍ منها؛ لأنّ غرضَ الاستشهادِ سيغيبُ.

وقد يكونُ السـببُ وجودَ علاقـاتٍ تركيبيّةٍ غيرِ منفكّـةٍ، توجِبُ ذكرَ الآيةِ بالكاملِ؛ ليتمَّ التركيبُ ومن ثَمَّ المعنى. ومن الأمثلةِ على هذا الأمرِ قولُه وهو يُعدّدُ معانيَ الفعلِ (فـرقَ): «وقولُه تعالى: ﴿فيها يُفرَقُ كلُّ أمرٍ حكيمٍ﴾[1]؛ أي يُقضـى»[2]، فلا يُمكنُ فـي هذه الآيةِ أن يجتزأَ منها محلَّ الشّـاهدِ وهو الفعلُ (يُفرقُ)؛ لأنّ شبه الجملةِ (فيها) معلّقةٌ به، وما بعدَه فاعلٌ واجبُ الذكرِ معَ ما أُضيفَ إليه، ثُمَّ صفتُه.

ولا نريـدُ التطويلَ بذكرِ مزيدٍ منَ الأمثلةِ، سـوى أن بيّنا ما عَنَّ للبحثِ من وجوهٍ اسـتدعَت ذكرَ الآيةِ كاملةً، وربّما يسـتدعي الأمرُ ذكـرَ آيتَيْنِ معًا، على نحو ما في حديثِه عن بلاغةِ مجيءِ المفردِ في سـياقِ النفي، قالَ: «وكذا حكمُ تمرةٍ وتمرٍ فإنّ استعمالَ الواحدةِ في النفيِ؛ كقولِكَ: ما لي تمرةٌ، أبلغُ في نفي التمـرِ مـن قولِكَ: ما لي تمرٌ. وفي الإثباتِ بالعكسِ فـإنّ: عندي تمرٌ أبلغُ في إثبـاتِ التمرِ من: عندي تمـرةٌ، ولهذا قيلَ في قصّةِ نـوحٍ عليه السلام: ﴿قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِـهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُـولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِيـنَ﴾[3]؛ لأنّ نفي الضلالةَ أبلغُ من نفي الضلالِ عنه رأسًـا، والمرادُ من الضلالةِ المرّةُ الواحدةُ لا المصدرُ فاعرفه»[4].

(١) سورة الدخان: ٤.

(٢) صفوة الصفات: ٢١٨.

(٣) سورة الأعراف: ٦٠ و ٦١.

(٤) صفوة الصفات: ١٦٠.

لا شـكَّ أنَّ ذكرَ الآيتَيْنِ بوصفِهما شـاهدًا على ما تقدّمَهما أمرٌ ضروريٌّ؛ لأنّه يُبيّنُ غرضَ سـوقِهما بشـكلٍ واضحٍ، فقـد ورد في قولِ نوحٍ مفـردٌ (ضلالة) في النفي، وقومُه لم يقولوا له: أنتَ (في ضلالة)، بل بصيغةِ الشـمولِ، فكانَ ردُّ نوحٍ حسـنًا وبليغًا؛ لأنّه نفى أن تلتبسَ به ضلالةٌ واحدةٌ، ومن ثَمَّ فليسَ له ضلالتانِ أو أكثرُ، فضلًا عن أن يشملَه الضلالُ ويُحيطُ به، وهذا التعبيرُ لا يؤدّيه غيرُه[١].

ثانيًا: وظائفُ الشّاهدِ القرآنيّ

١. الوظيفةُ المعجميّةُ:

فـي تفحّصي لكتـابِ صفوةِ الصفـاتِ وجدتُّ معظـمَ الشـواهدِ القرآنيّةِ سـاقَها المؤلِّفُ لأغراضٍ معجميّةٍ؛ فقد وضع لهذا الغرضِ أساسًا، والوظيفةُ المعجميّـةُ تكمـنُ في بيانِ معنى الكلمةِ الأسـاس أو العـامِّ، أو الخاصِّ على وَفـقِ الاسـتعمالِ؛ إذ يذكرُ المعجميّـونَ معنى الكلمـةِ في إطـارِ تراكيبَ أو جملةٍ، وهو ما يُسـمّيه العلماءُ بـ(السـياق المقالي)[٢]. والكفعميُّ سـارَ على هذا النهجِ في بيانِ كثيرٍ من معاني كلماتِ الدعاءِ، عبرَ سـردِ اسـتعمالاتِها في القرآنِ الكريمِ، والإشـارةِ إلى تعدّدِ تصاريـفِ الكلمةِ والفروقِ المعنويّةِ التي يفرضُها بناءُ الكلمةِ وسياقُها الاستعماليِّ.

ولْنأخذ مثالًا على هذه الوظيفةِ في كلامِه عن كلمةِ (جعل) التي وردَت في فقرةِ الدعاءِ (وجعلتَ الشـمسَ ضياءً)، قالَ: «الجعلُ: هنا بمعنى الصيرورةِ، ومنه ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّـيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[٣]؛ أي صيّرناهم... ويكونُ

(١) ينظر: الدرّ المصون: ٥ / ٣٥٥.

(٢) ينظر: المعنى وظلال المعنى: ٣٧٠.

(٣) سورة الأعراف: ٢٧.

بمعنى الوصفِ، ومنه قولُه تعالى: ﴿وجعلوا الملائكةَ الذينَ هم عبادُ الرحمنِ إناثًا﴾[١]؛ أي وصفوهم بذلكَ، وبمعنى الخلقِ كقولِه تعالى: ﴿وجعلْنا منَ الماءِ كلَّ شيءٍ حيٍّ﴾[٢]. وبمعنى التبيينِ، كقولِه تعالى ﴿وقد جعلْتُمُ اللهَ عليكم كفيلًا﴾[٣]؛ أي تَبيّنتُم أنّ اللهَ عليكم رقيبًا وشاهدًا»[٤].

هذه هي واحدةٌ من خصائصِ الكلمةِ في اللغاتِ؛ إذ يتحدّدُ معناها عندَ دخولِها في حيّزِ الاستعمالِ، أمّا في حالةِ انعزالِها عنه فهي حمّالةٌ لأكثرَ من معنًى، وإنْ تبادرَ منها إلى الذهنِ معنًى بعينِه؛ لهذا قالَ أحدُ فلاسفةِ اللغةِ المحدثينَ إنّ للكلمةِ بشكلٍ عامٍّ قدرًا «منَ المعاني بقدرِ ما لها منَ الاستعمالاتِ»[٥].

وقد اختارَ الكفعميُّ من بينِ هذه المعاني (الصيرورة) ليكونَ المعنى المقصودَ للجعلِ في الدعاءِ؛ أي إنّ اللهَ جلَّ جلالُه صيّرَ الشمسَ ضياءً، أمّا استشهادُه بباقي الشواهدِ المصاحبةِ، فكانَ لأجلِ ذكرِ الوجوهِ الدلاليّةِ الأُخَر في استعمالِ هذا الفعلِ على المستوى القرآنيِّ؛ أي في غيرِ دلالةِ الصيرورةِ.

وممّا يقربُ منَ السالفِ ذكرُه استشهاده بنصٍّ قرآنيٍّ لبيانِ أصلِ الوضعِ، فقد ذهبَ يتكلّمُ عن البروجِ الفلكيّةِ وأسمائها، ثُمَّ قالَ: «وأصلُ البروجِ القصورُ والحصونُ، قالَ تعالى: ﴿ولو كنتُم في بروجٍ مشيّدةٍ﴾[٦]، وسُمّيَ كلُّ

(١) سورة الزخرف: ١٩.

(٢) سورة الأنبياء: ٣٠.

(٣) سورة النحل: ٩١.

(٤) صفوة الصفات: ١٥٧.

(٥) اللغة، فندريس: ٢٤٢.

(٦) سورة النساء: ٧٨.

واحدٍ منَ البروجِ على التشبيهِ بما سُمّيَ به»[١].

لقد وردَت كلمةُ (بروج) في القرآنِ الكريمِ في أربعةِ مواضعَ، ثلاثةٌ منها تدلُّ على التسميةِ الفلكيّةِ، ولأنّ هذه الثلاثةَ لا تنفعُ المؤلِّفَ لبيانِ معنى الكلمةِ في أصلِ وضعِها؛ لجأ إلى الشَّاهدِ القرآنيِّ المذكورِ؛ لأنّه يُعطي المعنى الأصليِّ، فالبرجُ هو الحصنُ أو القصرُ الذي يتّخذُه الناسُ ليكونَ ملجأً لهم، ويبدو أنّ هذا الأصلَ جرى عليه تطوّرٌ دلاليٌّ، فالعربُ لم تكن تعرفُ (بروج السماء) وإنّما تعرفُ (منازل القمر)[٢]، فانتقلَتِ الدلالةُ من معنى الحُصنِ إلى منزلِ القمرِ، فالتسميةُ جاءَ بها القرآنُ الكريمُ؛ إذ إنّ منزلَ القمرِ ملجأٌ له ومحطٌّ، فاتّحدَ هذا المعنى معَ أصلِ الوضعِ بلحاظِ الصّفةِ.

ولم يكتفِ ببيانِ هذا المعنى بل راحَ يفصّلُ الحديثَ عن مقدارِ البرجِ الواحدِ، فهو يُمثّلُ ثلاثينَ درجةً من مسارِ الفلكِ الذي تدورُ في حيّزِه النجومُ، البالغِ ثلاثَ مئةٍ وستينَ درجةً، وعلى هذا التقديرِ يكونُ في الفلكِ اثنا عشر برجًا[٣].

٢. الوظيفةُ الصرفيّةُ:

الصرفُ علمٌ يتناولُ بناءَ الكلمةِ من دونِ حرفِ الإعرابِ، فيُلاحظُ ما يطرأ على هذا البناءِ من أصالةٍ أو زيادةٍ أو حذفٍ أو قلبٍ أو تحريكٍ أو إبدالٍ أو اشتقاقٍ[٤]، وهو علمٌ ظهرَ لصيقًا بعلمِ النحوِ في بداياتِ تدوينِ قواعدِ اللغةِ،

(١) صفوة الصفات: ١٧٨.

(٢) ينظر: جمهرة اللغة، ابن دريد: مادّة(برج).

(٣) ينظر: لسان العرب: مادّة(برج)، وصفوة الصفات: ١٧٣.

(٤) ينظر: شرح الملوكي في التصريف: ١٩.

ويعدُّ مقدّمًا على النحوِ في الدراسةِ وأصعبَ منه[١]، وللصيغةِ الصرفيّةِ معانٍ تُسهمُ في تكوينِ المعنى العامِّ للكلامِ.

لقد حضرَ الشَّاهدُ القرآنيُّ مصرّحًا به في كتابِ صفوةِ الصفاتِ بوصفِه موظّفًا صرفيًّا في مواطنَ متعدّدةٍ، منها ما أوردَه الشيخُ الكفعميُّ دليلًا على تأويلِ الصيغةِ الصرفيّةِ عن ظاهرِها، قالَ: «وفي صفتِه ﷺ: «أنورُ المتجرّد» والعربُ تقولُ للحسنِ المشرقِ اللونِ: أنور...وأرادَ بالأنورِ النيِّرِ فوضعَ أفعلَ في موضعِ فعيل كما في قولِه تعالى: ﴿وهوَ أهونُ عليه﴾[٢]؛ أي هيِّنٌ عليه»[٣].

محلُّ الشَّاهدِ كلمةُ (أهون) التي هي على صيغةِ التفضيلِ (أفعل)، وعندَ الشارحِ أنّ المرادَ منها ليسَ دلالةَ التفضيلِ الظاهرةَ في الكلامِ، بل أُريدَ (هيّن) التي هي صيغةٌ من صيغِ الصفةِ المشبّهةِ، وهو استشهادٌ أراد به أنْ يقولَ إنّ (أنور) تأويلُها (نيّر).

و الحقيقةُ أنّ هذا العدولَ الصيغيَّ في النصِّ المباركِ له ما يسوّغُه من جهة المعنى عندَ عمومِ المفسّرينَ وأهلِ اللغةِ؛ إذ لو حُمِلَ الكلامُ في الشَّاهدِ على الظاهرِ لكانَ المعنى أنّ إعادةَ الخلقِ على الله عزّ وجلّ أكثرُ هوانًا من بدايةِ الخلقِ، وهو معنًى «ينافي كونَ قدرتِه مطلقةً غيرَ محدودةٍ فإنّ القدرةَ اللامتناهيةَ لا تختلفُ حالُها في تعلّقِها بشيءٍ دونَ شيءٍ فتعلّقُها بالصعبِ والسهلِ على السواءِ فلا معنى لاسمِ التفضيلِ ههنا»[٤]. أمّا القصديّونَ من أهلِ اللغةِ فلا

(١) ينظر: المنصف: ١ / ٤ و ٥.

(٢) سورة الروم: ٢٧.

(٣) صفوة الصفات: ١٦٢.

(٤) الميزان في تفسير القرآن: ١٦ / ١٧٧ و ١٧٨.

يقبلـونَ هذا التأويـلِ، بل يأخذونَ بالصيغـةِ الظاهرةِ ويوجّهـونَ المعنى، بما ينسـجمُ والاعتقادَ بمطلـقِ القدرةِ الإلهيَّةِ، وهو موضوعٌ لا يسـعُ المجالُ هنا لذكرِه.

ومن الاستشهاداتِ القرآنيّةِ الموظّفةِ في الجانبِ الصرفيِّ ما ساقَه في أثناءِ حديثِه عمّا يُسـمّى بـ(المثنّى التغليبيّ)، الذي يعني تثنيةَ شـيئَيْنِ بلفظِ الغالبِ منهمـا أو الأشـهرِ، ولا يصـحُّ تجريدُه وعطـفُ مثلِه عليـه، مثـلُ (العُمَران) و(الأشـتران)[1]. قالَ: «والقمرانِ: الشـمسُ والقمرُ. إن قلتَ: وزنُ قمر على فَعَل وشـمس على فَعْل، وسـاكنُ العينِ أخفُّ من متحرّكِها، فلِمَ غُلِّبَ الثقيلُ علـى الخفيـفِ؟ قلـتُ: إنّ القمرَ مذكّرٌ والشـمسُ مؤنّثـةٌ، وإذا اجتمعا غلَبَ المذكّـرُ المؤنّـثَ؛ لأنّ المذكّـرَ هو الأصـلُ، قالَ تعالـى: ﴿ورفـعَ أبويه على العرشِ﴾[2]، ذكّرَ لأنّه أرادَ أباه وخالتَه»[3].

فـي تحليلِـه هـذا كانَ يعلّـلُ صرفيًّا سـببَ تغليبِ القمـرِ فـي التثنيةِ على الشمسِ؛ لأنّ علماءَ اللغةِ وضعوا أسبابًا للتغليبِ بينَ الشيئَيْنِ، منها الشهرةُ أو السـبقِ لأحدِهما، وإذا ما وجدوا تثنيةً مخالفةً لهذه العلّةِ تأوّلوا غيرَها، وهذا ما حاولَه الشـيخُ الكفعميُّ رحمه الله في كلامِه السابقِ، فقد افترضَ شخصًا معترضًا على تثنيةِ الشـمسِ والقمـرِ بـ(القمران) بلحاظٍ صرفيّـةٍ، وهي أنّ وزنَ كلمةِ (قمـرِ) أثقلُ في بنيتِها؛ لكونِها - بالتفسـيرِ الصوتيِّ الحديثِ - تُشـكّلُ ثلاثةَ مقاطعِ صوتيةٍ (ق ـَـــ / م ـَـــ / ر ـُـــ ن)، بينَما يتشـكّلُ في كلمةِ (شمس) مقطعانِ فقط، هما (ش ـَـــ م / س ـُـــ ن)، وجاءَت التثنيةُ

(١) ينظر: المثنى التغليبيّ وتراث العربيّة فيه: ٢٩.

(٢) سورة يوسف: ١٠٠.

(٣) صفوة الصفات: ١٦٥.

على الأثقلِ خلافًا لعادةِ العربِ في الميلِ للخفيفِ في كلامِها.

وهنا التمسَ تعليلًا آخرَ لتغليبِ القمرِ وهي أنّ القمرَ مذكّرٌ والمذكّرُ أصلٌ يغلبُ على المؤنّثِ، وضربَ لذلكَ شاهدًا قرآنيًّا ليُبيّنَ ظاهرةَ تغليبِ المذكّرِ، ففي الآيةِ نجدُ أنّ المثنّى التغليبيِّ هو كلمةُ (أبويه)، وعلى الرغمِ من اختلافِ المفسّرينَ في انطباقِ كلمةِ (أبويه) على يعقوبَ وأمّه الحقيقيّةِ، أو يعقوبَ وخالتِه؛ بناءً على أنّ أمَّه ماتت وهو صغيرٌ[١]، فإنّ الكلمةِ تعني أباه وأمّه، وقد ثُنّيا بتغليبِ الأبِ على الأمِّ؛ لأنّه مذكّرٌ، فالشّاهدُ إذن جاءَ مناسبًا لما كانَ بصددِه من شرحٍ صرفيٍّ.

٣. الوظيفةُ النحويّةُ:

في علمِ النحوِ يبرزُ الجانبُ النحويُّ عِبرَ العلاقاتِ التركيبيّةِ التي تؤلّفُ الكلامَ، وفي الغالبِ يُلحظُ أثرُ هذه العلاقاتِ على حرفِ الإعرابِ بإشاراتٍ يُسمّيها النحويّونَ علاماتِ الإعرابِ. ولم نعدم أن نجدَ في كتابِ صفوةِ الصفاتِ استشهادًا قرآنيًّا ذا وظيفةٍ نحويّةٍ يُبرِّزُ بوساطتِها الكفعميّ معانيَ الكلامِ في الدعاءِ.

ومن ذلكَ تعليقُه على فقرةِ الدعاءِ (وبقوّتك التي تُمسكُ بها السماءَ أنْ تقعَ على الأرضِ): «هنا «لا» محذوفةٌ والمعنى أنْ لا تقعَ على الأرضِ... وهم يحذفونَ «لا» في مواضعَ والمرادُ الإثباتُ... كقولِه تعالى: ﴿كجهرِ بعضِهم لبعضٍ أنْ تحبطَ أعمالُكم﴾[٢] أي «لا» تحبط»[٣].

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١١ / ٢٤٨.

(٢) سورة الحجرات: ٢.

(٣) صفوة الصفات: ١٢٧.

لقد لاحظَ الكفعميُّ فجوةً تركيبيّةً في عبارةِ الدعاءِ، وهي ظاهرةٌ لغويّةٌ يُسمّيها النحويّونَ (الحذف)، فإنّه لا يستقيمُ المعنى إذا لم تُقدّر أداةُ النفي (لا)؛ فإمساكُ السماءِ لأجلِ ألّا تقعَ، لا العكسُ؛ أي لا أن تقعَ، فالحرفُ المحذوفُ هو أداةُ نفيٍّ بعدَ (أنْ) المصدريّةِ.

وحتّى يؤكّدَ كلامَه استشهدَ على هذا الحذفِ أو الاستغناءِ بآيةِ الحُجُراتِ، فهي بحسبِ الظاهرِ تشبَه ما وردَ في الدعاءِ، وبالرجوعِ إلى بعضِ كتبِ التفسيرِ وجدتُّ أنّه يُمكنُ أن يكونَ التقديرُ بحذفِ مصدرٍ صريحٍ مضافٍ للمصدرِ المؤوّلِ؛ أي لا تفعلوا ذلكَ كراهةَ أن تحبطَ أعمالُكم[١]. ومهما يكن فإنّ الشّاهدَ القرآنيَّ أدّى وظيفةً في النحوِ، وساندَ النمطَ التركيبيِّ الذي وردَ في الدعاءِ، ومن ثَمَّ رأيَ المصنّفِ في توضيحِ المعنى.

ويُطالعنا أيضًا تصريحٌ بشاهدٍ قرآنيٍّ ذي وظيفةٍ نحويّةٍ، والمصنّفُ كانَ يعرضُ لمعاني كلمة (الرحمة) التي وردَت في الدعاءِ وما يُشتقُّ منها، إلى أن قالَ: «والرحمُ والرحيمُ: القرابةُ، والجمعُ: الأرحامُ، ومنه قولُه تعالى: ﴿**واتّقوا الله الذي تساءلونَ به والأرحامَ**﴾[٢]، فمَن نصبَ فالمعنى: واتّقوا الأرحامَ أن تقطعوها، ومن خفضَ أرادَ: تساءلونَ به وبالأرحامِ، وهو كقولِكَ: نشدتُّك بالله وبالرحمِ»[٣].

إنّ من أساليبِ المؤلِّفِ خروجَه عن نقطةِ بحثِه إلى ما يُحيطُها وما يُغني كتابَه عامّةً، فقد انتقلَ من بيانِ معنى الكلمةِ إلى إيرادِ شاهدٍ عليها، ومن ثَمَّ

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٦ / ٢٢١، و الميزان في تفسير القرآن: ١٨ / ٣١٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) صفوة الصفات: ٢٥٨ و ٢٥٩.

بيـانِ الأوجهِ النحويّةِ للكلمةِ موضعِ البحثِ في سـياقِها مـن النصِّ المباركِ، وأعني كلمة (الأرحام) في سـورةِ النساءِ؛ إذ قُرئت بالجرِّ والرفعِ[١]، وما عليه المصحـفُ الكريمُ النصبُ، وممّا لا شـكَّ فيه أنّ تغيُّرَ علامـةَ الإعرابِ يتبعُه تغيّـرٌ فـي المعنى[٢]، فـإذا قُرئت بالنصبِ كانَـت معطوفةً على لفـظِ الجلالةِ والمعنى (اتّقوا الأرحامَ)، وإذا قُرئت بالجرِّ كانت معطوفةً على الضميرِ الهاء المجرورِ بالباءِ.

وهـذا البيـانُ للمعنى بلحـاظِ الإعـرابِ مختصرٌ منـه؛ إذ ليسَ من شـأنه التفصيلُ في كتابٍ غيرِ معنيٍّ بإسـهابِ شـرحِ الآياتِ الكريمةِ، وللمفسِّـرينَ كلامٌ أكثـرُ تفصيلًا في التوجيهِ الإعرابيِّ، أنقلُ منه قولَ السـيّدِ الطباطبائيِّ في العطفِ على شـبه الجملةِ (به)، قالَ: «هذا ما قيلَ، لكنّ السياقَ ودأبَ القرآنِ في بياناتِه لا يُلائمانَه، فإنّ قولَه: (والأرحام) إن جُعِلَ صلةً مسـتقلّةً لـ(الذي)، وكانَ تقديرُ الكلامِ: واتّقوا اللهَ الذي تسألون بالأرحامِ، كانَ خاليًا من الضميرِ وهـو غيرُ جائزٍ، وإن كانَ المجموعُ منه وممّا قبلَـه صلةً واحدةً لـ(الذي) كانَ فيه تسـويةً بينَ اللهِ عزَّ اسـمُه وبينَ الأرحامِ في أمرِ العظمةِ والعزّةِ وهي تنافي أدبَ القرآنِ»[٣].

٤. الوظيفةُ البلاغيّةُ:

تُعـرفُ البلاغةُ بأنّها علمٌ يتنـاولُ الكلامَ المركّبَ وطريقـةَ تأليفِه من جهة

(١) ينظر: الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون: ٣ / ٥٤٤ و ٥٥٥.

(٢) في بعض مواطن اللغة القليلة يكون تغيير حركة الإعراب بلا متغيّر معنوي، ينظر: معاني النحو: ١ / ٢٨- ٣١.

(٣) ينظر: الميزان: ٤ / ١٤٢.

مطابقة أساليبِه لما يقتضيه مقامُ الخطابِ[١]، ولهذا العلمِ ثلاثةُ أقسامٍ رئيسة يبحثُ فيها، وهي علمُ المعاني، والبيانِ، والبديعِ.

وقد استشهدَ الكفعميُّ بآياتٍ متعدّدةٍ لبعضِ الأساليبِ البيانيّةِ، من ذلكَ تعليقُه على جملةِ الدعاءِ (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْعَظِيمِ الْأَعْظَمِ الْأَعَزِّ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيتَ بِهِ عَلَى مَغَالِقِ أَبْوَابِ السَّمَاءِ لِلْفَتْحِ بِالرَّحْمَةِ انْفَتَحَتْ، وَإِذَا دُعِيتَ بِهِ عَلَى مَضَائِقِ أَبْوَابِ الْأَرْضِ لِلْفَرَجِ بِالرَّحْمَةِ انْفَرَجَتْ) أنّ فيه أنواعًا من البديعِ، منها «البسطُ وهو الإتيانُ باللفظِ الكثيرِ على المعنى القليلِ لكنّ شرطَه زيادةُ الفائدةِ كقولِه تعالى: ﴿**الذينَ يحملونَ العرشَ ومَن حولَه يُسبّحونَ بحمدِ ربِّهم ويؤمنونَ به**﴾[٢]، فإنّه لو تركَ الإطنابَ لم يذكر: «ويؤمنونَ به»؛ لأنّ إيمانَهم لا يُنكرُه من يُثيبُهم فلا حاجةَ إلى الإخبارِ به لكونِه معلومًا، لكن حَسُنَ ذِكرُه لفائدةِ إظهارِ شرفِه والترغيبِ فيه... وفي الفقرتَيْنِ كانَ يُمكنُه عليه السلام أن يقولَ لو تركَ الإطنابَ: مغالق السماء لانفتحت ومضايق الأرض لانفرجت بالرحمةِ»[٣].

لقد لمحَ الكفعميُّ هذا اللونَ البيانيَّ الذي وردَ في الدعاءِ مستندًا إلى مرجعيّاتِه في البلاغةِ والقرآنِ الكريمِ، والبسطُ الذي هو منَ الإطنابِ وعكسُه الإيجازُ، طريقةٌ في إلقاءِ الخبرِ، تناولتها الدراساتُ البلاغيّةُ، وقرّرت أنّ دواعيها كثيرةٌ، منها تقويةُ المعنى وتوكيدُه، أو توضيحُ المرادِ، أو رفعُ الإبهامِ وغيرُ ذلكَ[٤]، وقد تحقّقَ هذا الأسلوبُ بتكرارِ لفظِ (الرحمة) و (الأبواب)

(١) ينظر: جواهر البلاغة: ٤٠.

(٢) سورة غافر: ٧.

(٣) صفوة الصفات: ٩٢.

(٤) ينظر: جواهر البلاغة: ٢٠٢.

في فقرةِ الدعاءِ، وجاءَ الشَّاهدُ القرآنيُّ موضّحًا لهذا الاستعمالِ.

ولفقرةِ الدعاءِ نفسِها استشهدَ بالقرآنِ الكريمِ لأسلوبٍ بيانيٍّ آخرَ وردَ فيها، يُسمّى الإشارة، ويعني أن يُشيرَ المتكلّمُ إلى معانٍ كثيرةٍ بكلامٍ قليلٍ، فهو عكسُ البسطِ إذن، وذكرَ له الكفعميُّ شاهدَيْنِ أحدُهما قولُه تعالى: ﴿**وفيها ما تشتهيه الأنفسُ وتلذُّ الأعينُ**﴾[1]، فإنّ شرحَ ما في الجنّةِ يطولُ ذكرُه أوجزَه الحكيمُ جلَّ جلالُه بالآيةِ المباركةِ، وفيما يخصُّ الإشارةَ في فقرةِ الدعاءِ قالَ المصنّفُ: «وفي الفقرتينِ الإشارةُ بذكرِ الرحمةِ السماويّةِ والأرضيّةِ إلى رفعِ الأعمالِ ونزولِ الأرزاقِ والآجالِ وزوالِ الركبِ وبلوغِ الآمالِ، وشرحُ ذلكَ لا يُعدُّ ولا يُحصى ولا يُحدُّ ولا يُستقصى»[2].

(١) سورة الزخرف: ٧١.

(٢) صفوة الصفات: ٩٤.

القسمُ الثاني: التلميحُ للشاهدِ القرآنيِّ

قد تبيّنَ ممّا سبقَ الحضورُ الكثيفُ للشاهدِ القرآنيِّ في كتابِ الكفعميِّ مصرّحًا به، وعلى أكثرِ من نمطٍ؛ ليؤدّيَ وظائفَ متعدّدةً تصبُّ في كشفِ المعنى ومرادِ منتجِ النصِّ، وتُثري البحثَ بما يدورُ حولَ تلكَ المعاني، ولكنّ المصنّفَ لم يقنع بهذا الحدِّ في عملِه، فثمّةَ شواهدُ قرآنيّةٌ غابَت في أثناءِ شرحِه أو كانَت مضمرةً، فبدلَ أن يذكرَها لجأ إلى الإلماحِ إليها بكيفيّاتٍ محدّدةٍ، ومن ثَمَّ يكونُ الشَّاهدُ مرصودًا ذهنيًّا وهو غيرُ موجودٍ في البحثِ، لذا عقدنا هذا القسمَ لأنّه مناظر للقسمِ الذي سبقَ، وهو التلميحُ للشاهدِ. وفيما يأتي منَ البحثِ نرصدُ بعضَ ما وردَ من إيماءاتٍ لتلكَ الشواهدِ، ونقفُ على مناسباتِها:

يجدُ الباحثُ في مواضعَ منَ الكتابِ ذكرَ كلمةٍ أو تركيبٍ من آيةٍ قرآنيّةٍ، كانَ بإمكانِ المصنّفِ أن يستشهدَ بها على كلامِه، إلّا أنّه لم يفعل؛ اختصارًا واكتفاءً بالتلميحِ إليها. إنّ ذكرَ كلمةٍ أو أكثرَ من آيةٍ لا يعني أنّ المصنفَ قد ذكرَ شاهدًا للنصِّ المباركِ، إنّما أغناه هذا الذكرُ السريعُ في أثناءِ حديثِه عن الإتيانِ به تصريحًا، ويكثرُ هذا الأمرُ كلّما كانَ الشَّاهدُ معروفًا لدى القارئِ، ويكثرُ ترديدُه في البحوثِ.

ومن ذلكَ أنّه استطردَ كثيرًا وهو يُعقّبُ على جملةِ الدعاءِ (وحُمِدتَ به في السماواتِ والأرضِ)، فذكرَ كلامًا يخصُّ معنى الحمدِ، ثُمَّ عرّجَ على ذكرِ السماواتِ وما فيها، وختمَ الحديثَ عن الأرضِ وما فيها من أقاليمٍ وجبالٍ وقلاعٍ، وفجأةً ذكرَ فنًّا بلاغيًّا تحتَ عنوانِ (فائدة)، وهو الاقتباسُ، قالَ: «الاقتباسُ في علمِ البديعِ هو أن يُضمّنَ المتكلِّمُ كلامَه

كلمةً أو آيةً من كتابِ الله... كقولِ الكفعميِّ عفا الله عنه:

رأيتُـــها تتـــهادى فـي أزقّتِـــنا ... والصدرُ مُنشرحٌ والقلبُ في جذَلِ

سألتُها الوصلَ قالت: في غـداةَ غدٍ ... فقلتُ: قد﴿خُلِقَ الإنسانُ من عجلٍ﴾»[1]

على الرغمِ من بعدِ ما وصلَ إليه الشارحُ ﷺ عن فقرةِ الدعاءِ، إلّا أنّه قدّمَ مادّةً علميّةً لغويّةً وتأريخيّةً وجغرافيّةً، وهذا - فيما نحسبُ - أسلوبٌ يدفعُ الملالةَ عن القارئِ؛ إذ يخرجُ المؤلِّفُ عن جوّ اللغةِ والدعاءِ إلى رحابٍ لا تخلو من فائدةٍ، وكثيرًا ما يحضرُ هذا الأسلوبُ في كتابِه. وما يُركّزُ عليه بحثُنا هو الشّاهدُ القرآنيُّ بوصفِه غائبًا بنصِّه، حاضرًا إلماحًا، ففي بيتِه الشعريِّ استعملَ أسلوبَ الاقتباسِ لآيةٍ قرآنيّةٍ هي قولُه تعالى: ﴿خُلِقَ الإنسانُ من عجلٍ سأريكم آياتي فلا تستعجلونَ﴾[2]، ولو أرادَ التوضيحَ أكثرَ لقالَ: إنّ الاقتباسَ كانَ في عجزِ البيتِ الثاني، ثُمَّ يذكرُ الشّاهدَ القرآنيَّ، إلّا أنّه اختصرَ لوضوحِ ذلكَ.

ومنه أيضًا ما قدّمَه من بحثٍ فلكيٍّ ماتعٍ استطردَ به الحديثَ عن فقرةِ الدعاءِ (وجعلتَ لها مطالعَ ومجاريَ وجعلتَ لها فلكًا ومسابحَ)، وكعادتِه يبدأ الكلامَ ببيانِ معاني الكلماتِ، ثُمَّ يوردُ بعضَ الأبحاثِ المتعلّقةِ، فقد بسطَ القولَ في حركةِ الكواكبِ في أفلاكِها إلى أن قالَ: «وأمّا القمرُ فهو يقطعُ الفلكَ في ثمانيةٍ وعشرينَ يومًا وله ثمانيةٌ وعشرونَ منزلًا ينزلُها القمرُ في كلِّ شهرٍ، ينزلُ في كلِّ يومٍ وليلةٍ منزلًا، فإذا قطعَ هذه الثمانيةَ وعشرينَ منزلًا عادَ كالعرجونِ القديمِ»[3].

في هذا النصِّ من كلامِه إشارةٌ إلى قولِه تعالى: ﴿والقمرَ قدّرناه منازلَ حتى

(١) صفوة الصفات: ٣٣١.

(٢) سورة الأنبياء: ٣٧.

(٣) صفوة الصفات: ١٧٧.

عـاد كالعرجـونِ القديمِ﴾[١]، ولـم يذكره، وإنّما أشـارَ إليه بتركيـبِ (العرجونِ القديمِ). والقمرُ يسـيرُ في مجالِه الفلكـيِّ (الفلك) لينزلَ منازلَه المعروفةَ في مدّةِ شهرٍ؛ إذ يبدأ هلالًا ويكبرُ فيصبحُ بدرًا، حتّى يُصبحَ في آخرِ الشهرِ مستدقًّا كالعرجونِ القديمِ.

واختلفَ أهلُ اللغةِ في أصلِ العرجونِ، فقيلَ هو من الثلاثيِّ (عرجَ)، وقيلَ من الرباعيِّ (عرجـنَ)، ومهما يكن فإنّ معناه واحدٌ عندَهم وهو أصلُ العذقِ في النخلِ، ما بينَ جذعِ النخلةِ وشـماريخِ العـذقِ التي تحملُ الثمرَ[٢]، وهذه القطعـةُ النباتيّةُ إذا صـارَت قديمةً تنحني، لذلكَ عُدَّ تشـبيهُ القمـرِ بها بديعًا، تضمّنَ ثلاثةَ وجوهٍ: الدقّةُ والاستقواسِ والاصفرارِ[٣].

ومنه ما جاءَ في شـرحِه لجملةٍ وردَت في الدعاءِ، وهي (وفي أرضِ مصرَ بتسعِ آياتٍ بيّناتٍ)، قالَ: «والآياتُ التسعُ قيلَ: هي الدمُ، والضفادعُ، والقُمّلُ، والرجزُ، والوباءُ، والجرادُ، والبردُ، وكانَ ينزلُ من السـماءِ ويطلعُ منه حرُّ نارٍ فتحرقُهـم، والظـلامُ الملبسُ بحيثُ لا يُمكـنُ القائمُ أن يقعـدَ ولا القاعدُ أن يقومَ، وموتُ الأبكارِ، وقيلَ: عوضُ موتِ الأبكارِ: الطوفانُ»[٤].

في كلامِه هذا غابَ أكثرُ من شـاهدٍ قرآنيٍّ، فذِكْرُ الآياتِ التّسـعِ التي آتاها اللهُ موسـى وألفاظُ تلكَ الآياتِ يُحيلُ إلى قولِه تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْـأَلْ بَنِي إِسْـرَائِيلَ إِذْ جَاءهُـمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَونُ إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَـى

(١) سورة يس: الآية ٣٩.

(٢) ينظر: تاج اللغة وصحاح العربية: مادة(عرجن).

(٣) ينظر: الدرّ المصون: ٩ / ٢٧١.

(٤) صفوة الصفات: ٢١٦.

مَسْحُورًا﴾[١]، وقولِه: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفانَ والجرادَ والقُمّلَ والضفادعَ والدمَ آياتٍ مفصّلاتٍ فاستكبروا وكانوا قومًا مجرمينَ﴾[٢].

لقد اختلفَ العلماءُ في تصنيفِ هذه الآياتِ على أقوالٍ، والقرآنُ الكريمُ ذكرَ من آياتِ موسى أكثرَ من هذا العددِ، فهناكَ إحياءُ المقتولِ ونتقُ الجبلِ والعصا واليدُ وغيرُها، وقد ذكرَ الكفعميُّ أقوالًا أخرى في أصنافِ الآياتِ التسعِ، لا نريدُ التطويلَ بذكرِها.

وبالجملةِ فإنّ الذي يظهرُ من القرآنِ الكريمِ أنّ هذه التسعةَ مخصوصةٌ بفرعونَ وقومِه ودعوتِهم للإسلامِ، قالَ تعالى: ﴿وأدخل يدكَ في جيبِكَ تخرج بيضاءَ من غيرِ سوءٍ في تسعِ آياتٍ إلى فرعونَ وقومِه إنّهم كانوا قومًا فاسقين﴾[٣]، فالآياتُ التسعةُ هي «العصا واليدُ والطوفانُ والجرادُ والقُمّلُ والضفدعُ والدمُ والسنونَ ونقصٌ من الثمراتِ»[٤].

وعلى هذا المنوالِ يتمُّ التلميحُ بأسلوبٍ لا نجدُ فيه من الكفعميِّ إشارةً إلى شاهدٍ قرآنيٍّ بذكرِ كلمةٍ منه أو تركيبٍ، بل نراه يتناولُ فكرتَه أو مضمونَه، وكأنّه استشهدَ به، وبطبيعةِ الحالِ فإنّ هذا يُمثّلُ إلماحًا لنصٍّ غائبٍ في حديثِه.

وممّا على هذه الشاكلةِ في الإشارةِ للشاهدِ القرآنيِّ ما جاءَ في بحثٍ مطوّلٍ عن مجموعةٍ من الأنبياءِ في إطارِ شرحِه لقولِ الدعاءِ (وببركاتكَ التي باركت فيها على إبراهيمَ خليلك عليه السلام في أمّةِ محمّدٍ صلى الله عليه وآله)، فقد أتى ببحثٍ عن النبيِّ

(١) سورة الإسراء: ١٠١.

(٢) سورة الأعراف: ١٣٣.

(٣) سورة النمل: ١٢.

(٤) الميزان في تفسير القرآن: ١٣ / ٢١٤.

محمّدٍ عليه وآلِه الصلاةُ والسلامُ، مبيّنًا فيه جملةً من خصائصِه، قالَ: «وجُعِلَت نساؤه أمهاتِ المؤمنينَ يعني: تحريمُ نكاحهنّ على غيرِه سواءٌ فارقَهنّ لموتٍ أو فسخٍ أو طلاقٍ، لا لتسميتهنّ أمهاتٍ ولا لتسميتِه عليه السلام أبًا»[١].

أشارَ الكفعميُّ في كلامِه هذا إلى نصٍّ قرآنيٍّ غائبٍ لم يذكره، وهو قولُه تعالى: ﴿النبيُّ أولى بالمؤمنينَ من أنفسِهم وأزواجُه أمهاتُهم﴾[٢]، فقد تناولَ مضمونَ الآيةِ ولم يستشهد بها؛ لوضوحِها بينَ المسلمينَ، فنساءُ النبيِّ (صلّى اللهُ عليه وآله) كلُّهنّ أمهاتٌ للمؤمنينَ، وقد وقفَ الكفعميُّ على علّةِ هذا التشريعِ، فهو - وإن كانَ توقيرًا لهنَّ إن بقينَ على سلامةِ معتقدِهنّ - تحريمُ نكاحٍ؛ أي لا يجوزُ نكاحهنَّ بعدَ النبيِّ، والدليلُ على ذلكَ أنّ عائشةَ كانت تقولُ للنساءِ إنّي لستُ أمًّا لكم، بل لرجالِكم كما يرويه العامّةُ[٣].

(١) صفوة الصفات: ٤١٩.

(٢) سورة الأحزاب: ٦.

(٣) ينظر: الكشاف عن غوامض حقائق التنزيل: ٣ / ٥٢٣.

الخاتمة

بعدَ انتهاءِ رحلتِنا في البحثِ عن الشَّاهدِ القرآنيِّ في كتابِ صفوةِ الصفاتِ، نقفُ هنا لنُسجّلَ أبرزَ النتائجِ التي توصّلَ إليها البحثُ هذا، وهي كما يأتي:

١. لحظَ البحثُ غزارةَ الاستشهادِ بالنصِّ القرآنيِّ في كتابِ الكفعميِّ، بل إنّه فاقَ غيرَه من أنواعِ الاستشهاداتِ الأُخَر، وأعني الاستشهادَ بالحديثِ النبويِّ وكلامِ العربِ شعرًا ونثرًا؛ إذ وصلَ عددُ الآياتِ التي استشهدَ بها إلى ما ينيفُ على المئتينِ والسبعينَ.

٢. تعدّدت أنماطُ التصريحِ بالشَّاهدِ القرآنيِّ، فقد يذكرُ جزءًا منه أو آيةً كاملةً أو أكثرَ من ذلكَ، وهو أمرٌ منوطٌ بالحاجةِ والمقامِ، والذي كثرُ في الكتابِ نمطُ الاجتزاءِ.

٣. عرفنا عبرَ البحثِ في كتابِ الكفعميِّ أنّه – زيادةً على الاستشهادِ الصريح بالشَّاهدِ القرآنيّ – كانَ يُلمّحُ إلى بعضِ الشواهدِ بواسطةِ استعمالِ كلمةٍ أو تركيبٍ منها، أو ذكرِ معانيها.

٤. وجدَ البحثُ أنّ الشيخَ الكفعميَّ لا يبقى عندَ نقطةِ البحثِ في المعنى، فهو يوشّي ما يبحثُه بمسائلَ تتّصلُ بالكشفِ المعنويِّ فتُثريه، فقد يبحثُ في السيرةِ والفلكِ والجغرافيةِ وعجائبِ الخلقِ وغيرِ ذلكَ.

٥. وجدَ البحثُ أيضًا أنّ الكفعميَّ قد اطّلعَ على كثيرٍ من المصادرِ المهمَّةِ في التفسيرِ والأدبِ واللغةِ، وكانَ ينقلُ منها بإشارةٍ أو من دونِ إشارةٍ.

٦. توصّلُ البحثُ إلى حقيقةٍ لم يُسجّلها أغلبُ من تحدّثوا عن الشَّاهدِ القرآنيِّ تعريفًا ووظيفةً؛ إذ انصبَّ اهتمامُهم على غايةِ التوثيقِ التي تلي وضعَ القاعدةِ من قِبلِ العالمِ؛ إذ نعتقد بأنّ هناكَ وظيفةً للشاهدِ تسبقُ هذا الوضعَ للقاعدةِ، وهي أنّه يُسهمُ بشكلٍ أساس في صوغِ تلكَ القاعدةِ أو الرأي العلميِّ؛ إذ يقعُ تحتَ منظورِ العالمِ مسبقًا في مرحلةِ الاستقراءِ.

المصادرُ والمراجعُ

القرآن الكريم.

١. أصول النحو العربيّ في نظر النحاة وابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، محمّد عيد، عالم الكتب، القاهرة، ط٤، ١٩٨٩م.

٢. أعيان الشيعة، السيّد محسن الأمين العامليّ (ت١٣٧١هـ)، تح: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

٣. الاقتراح في أصول النحو، جلال الدين السيوطيّ (ت٩١١هـ)، ضبطه: عبد الحكيم عطية، دار البيروتيّ، ط٢، ٢٠٠٦م.

٤. أمل الآمل، محمّد بن الحسن الحرّ العامليّ (ت١١٠٤هـ)، تح: أحمد الحسينيّ، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

٥. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلّامة محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٦. تاج اللغة وصحاح العربيّة، أبو نصر الفارابيّ (ت٣٩٣هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م.

٧. التحرير والتنوير، محمّد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، (د. ط)، ١٩٨٤م.

٨. التعريفات، علي بن محمّد الجرجانيّ (ت٨١٦هـ)، تح: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

٩. جمهرة اللغة، محمّد بن دريد الأزديّ (ت٣٢١هـ)، تح: رمزي منير بعلبكيّ، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

١٠. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشميّ (ت١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصريّة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

١١. الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف الحلبيّ (ت٧٥٦هـ)، تح: أحمد محمّد الخرّاط، دار القلم، دمشق، (د. ط)، (د.ت).

١٢. رياض العلماء وحياض الفضلاء، الميرزا عبد الله الهندي الأصبهاني (ت١١٣٠هـ)، تح: أحمد الحسيني، مطبعة الخيّام، قم المقدّسة، ط١، ١٩٨١م.

١٣. شرح الملوكي في التصريف، ابن يعيش (ت٦٤٣هـ)، تح: فخر الدين قباوة، المكتبة العربيّة في حلب، ط١، ١٩٧٣م.

١٤. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ابن فارس (ت٣٩٥هـ)، الناشر محمّد علي بيضون، ط١، ١٩٩٧م.

١٥. صفوة الصفات في شرح دعاء السمات، إبراهيم بن علي الكفعميّ (ت٩٠٥هـ)، تح: حسين هادي الحسينيّ، العتبة الحسينيّة المقدّسة (قسم الشؤون الفكريّة والثقافية)، كربلاء، ط١، ٢٠١٨م.

١٦. الطليعة من شعراء الشيعة، محمّد السماويّ (ت١٣٧٠هـ)، تح: كامل سلمان الجبوريّ، دار المؤرّخ العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

١٧. علماء في رضوان الله، محمّد أمين نجف، انتشارات الإمام الحسين، ط٢، ٢٠٠٩م.

١٨. في أصول النحو، سعيد الأفغانيّ (ت١٤١٧هـ)، مطبعة الجامعة السورية، ط٢، ١٩٥٧م.

١٩. القاموس الفقهيّ لغة واصطلاحا، سعدي أبو حبيب، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٨٨م.

٢٠. الكشّاف عن غوامض حقائق التنزيل، جار الله الزمخشريّ (ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م.

٢١. لسان العرب، ابن منظور (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٩٤م.

٢٢. اللغة، فندريس، تعريب: عبد الحميد الدواخليّ و محمّد القصّاص، مكتبة الأنكلو المصرية، (د.ط)، (د.ت).

٢٣. معاني النحو، فاضل صالح السامرّائيّ، دار الفكر للطباعة والنشر، عمّان، ط١، ٢٠٠٠م.

٢٤. معجم لغة الفقهاء، محمّد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٨٨م.

٢٥. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (ت٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام هارون (١٤٠٨هـ)، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٧٩م.

٢٦. المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربيّة، محمّد محمّد يونس علي، دار المدار الإسلاميّ، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م.

٢٧. المنصف شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني النحويّ لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازنيّ النحويّ البصريّ، ابن جني

(ت٣٩٢هـ)، تـح: د. إبراهيم مصطفى و د. عبـد الله أمين، دار إحياء التراث القديم، القاهرة، ط١، ١٩٥٤ م.

٢٨. موسـوعة كشـاف اصطلاحـات الفنـون والعلـوم، محمّـد بن علي التهانـويّ (ت١١٩١هـ)، تـح: علي دحروج، تر: عبـد الله الخالديّ، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٢٩. الميزان في تفسـير القرآن، محمّد حسين الطباطبائيّ (ت١٤٠٢هـ)، صحّحه: حسـين الأعلميّ، مؤسسـة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.